ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر
وبيان بعد محمد رشيد رضا عن السلفية

جمعها
أبوعبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي بيّن لنا سبيل الفلاح والفوز فقال: {ولتكن منكم أمّة يـدعون إلى الخـير ويـأمرون بـالمعروف وينهـون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}.

والصلاة والسـلام على نبينا محمد وعلى آله القائـل: ((لا تـزال طائفة من أمّتي على الحـقّ ظـاهرين لا يضـرّهم من خـذلهم ولا من خالفهم حتّى يأتي أمر الله عزّ وجلّ وهم على ذلك)).

وأشـهد أن لاإله إلا الله وحـده لاشـريك له وأشـهد أن محمـدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الـدعوة إلى الله بل ومن الجهــاد في ســبيل الله بيــان عقيــدة أهل الســنة والجماعة والــذّب عنهــا، وكشف عــوار أهل البــدع والملحــدين والتحذير منهم، كما قال ربنا عزوجل في كتابه الكريم: {بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق}.

وجزى الله أهل السنة خيرًا فهم من زمن قديم يتصـدون لأهل البدع، حتى فضّل بعضـهم الـرّدّ على أهل البـدع على الجهـاد في سبيل الله.

وفي هذا الزمن شاع وذاع أن جمال الـدين الأفغـاني، ومحمد عبده المصري، ومحمد رشـيد رضـا، من المجـددين وأنّهم علمـاء

الفكر الحر، فقام غير واحد من المعاصرين ببيـان ضـلالهم وأنّهم مجدّدون للضلال وترهات الإعتزال فعلمت حقيقتهم، وصــدق الله إذ يقول: {فأمّا الزّبد فيذهب جفاءً وأمّا ما ينفع النّاس فيمكث في الأرض }فصارت معرفة ضـلالهم كلمة إجمـاع بين أهل السـنة، لكن محمد رشـيد رضا لم يـوفّ حقه واغـترّ بعض النـاس ببعض كلماته في الردود على بعض أهل البدع، وما يـدري أن عنـده من البدع والضلال ما يقاربهم، ولقد صدق مروان بن محمد الطاطري إذ يقـول كما في ترجمته من "تـرتيب المـدارك" للقاضي عيـاض: ثلاثة لا يؤتمنون: الصوفي والقصاص والمبتدع يرد على المبتدعة.

لذا رأيت أن أكتب هذه الرسالة الموسـومة بــ"ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر وبيان بعد محمد رشـيد رضا عن السلفية".

ولما نفـــدت طبعتها الأولى عـــزمت على نشـــرها مع بعض الزيادات، نسأل الله أن ينفع بها وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكـريم إنه جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العـــالمين وصـــلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد : فـإني لما كنت بمدينة رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم بلغـني أن بعض النـاس ينكـرون حـديث السـحر، فقلت لمن أخــبرني إنه في البخــاري ومســلم. فقــال: وهم ينكرونه! فقلت: بمن ضعّفوه؟ وكنت أظن أنّهم يسـلكون مسـالك العلمـاء في النقد والتجريح، لعلهم وجدوا في سنده من هو سيء الحفظ أو جاء موصولاً والراجح أنه منقطع أو جـاء مرفوعًا والـراجح فيه الوقف، كما هو شـأن الحافظ الـدارقطني رحمه الله في انتقاداته على الصحيحين، فإذا هؤلاء الجاهلون أحقر من أن يسـلكوا هـذا المسلك الذي لا يقوم به إلا جهابذة الحديث ونقاده، والمـيزان عند هـؤلاء أهـواؤهم، فما وافق الهـوى فهو الصـحيح وإن كـان من القصص الإسرائيلية، أو مما لا أصل له، وما خـالف أهـواءهم فهو الباطل ولو كــان في الصــحيحين، بل ربما تجــاوز بعض أولئك المخذولين الحد وطعن في بعض القصص القرآنية.

لذا رأيت أن أقدّم لإخواني طلبة العلم هـذا الحـديث الشـريف، وتوجيه أهل العلم لمعناه على المعنى الـذي يليق بشـرف النبـوة والعصمة النبوية، ولا أدّعي أنني صحّحت الحديث فهو صـحيح من

قبل أن أخلق ومن قبل أن أطلب العلم، وما طعن فيه عـالم يعتد بـه، وناهيك بحـديث اتفق عليه الشـيخان، ورواه الإمـام أحمد من حديث زيد بن أرقم، ولا يتنافى معناه مع أصول الشريعة.

والـــذي أنصح به طلاب العلم أن لا يصـــغوا إلى كلام أولئك المفتونين الزائغين وأن يقبلوا على تعلم الكتاب والسنة وأن يبينوا للنـــاس أحـــوال أولئك الـــزائغين وبحـــذروهم منهم ومن كتبهم ومجلاتهم وندواتهم.

والله أسأل أن يحفظ علينا ديننا وأن يتوفانا مسلمين.

ربنا لا تـزغ قلوبنا بعد إذ هـديتنا وهب لنا من لـدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

المبتدعة ينكرون حقيقة السحر

قـال القرطـبي رحمه الله (ج2 ص46): ذهب أهل السـنة إلى أن السـحر ثـابت وله حقيقة، وذهب عامة المعتزلة وأبوإسـحاق الأسـترابـاذي من أصـحاب الشـافعي إلى أن السـحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه وتخييل وإيهام، لكون الشيء على غـير ما هو به، وأنه ضرب من الخفّة والشعوذة، كما قـال تعـالى: {يخيّل إليه من سحرهم أنّها تسعى[1]} ولم يقل:تسعى على الحقيقة، ولكن قال: {يخيّل إليه} وقال أيضًا: {سـحروا أعين النّـاس[2] } وهـذا لا حجة فيه، لأنا لا ننكر أن يكون التخييل وغـيره من جملة السـحر، ولكن

---

1 سورة طه، الآية: 66.

2 سورة الأعراف، الآية: 176.

ثبت وراء ذلك أمـور جوّزها العقل وورد بها السـمع، فمن ذلك ما جاء في هذه الآية من ذكر السحر وتعليمه، ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه ولا أخبر تعالى أنّهم يعلمونه الناس فدل على أن له حقيقة، وقوله تعالى في قصة سحرة فرعون: {وجاءوا بسـحر عظيم } وسـورة الفلق مع اتفـاق المفسـرين على أن سـبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم، وهو مما خرجه البخـاري ومسلم[1] وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: سحر رسـول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يهـوديّ من يهـود بـني زريـق، يقال له لبيد بن الأعصم الحـديث، وفيـه: أن النـبي صـلى الله عليه وعلى آله وسلم لما حـل السحر قال: ((إن الله شفاني)).

والشفاء إنما يكـون برفع العلة وزوال المـرض، فـدل على أن له حقًا وحقيقةً، فهو مقطـوع به بإخبـار الله تعـالى ورسـوله على وجـوده ووقوعه، وعلى هـذا أهل الحل والعقد الـذين ينعقد بهم الإجمـاع، ولا عـبرة مع اتفـاقهم بحثالة المعتزلة ومخـالفتهم أهل الحق.

ولقد شاع السـحر وذاع في سـابق الزمـان، وتكلّم النـاس فيه ولم يبد من الصحابة ولا من التابعين إنكـار لأصـله، وروى سـفيان عن أبي الأعور عن عكرمة عن ابن عباس قال: علم السحر في قرية من قـرى مصر، يقـال لـه: (الفرما)، فمن كـذب به فهو كـافر مكذب لله ورسوله، منكر لما علم مشاهدةً وعيانًا.

---

1 البخاري (ج10 ص235)، ومسلم (ج14 ص174).

وقـال الحافظ ابن كثـير في "تفسـيره" (ج1 ص254): فصـل: حكى أبوعبدالله الـرازي في "تفسـيره" عن المعتزلة أنّهم أنكـروا وجود السحر قال: وربما كفّروا من اعتقد وجوده، قال: وأما أهل السنة فقد جوّزوا أن يقـدر السـاحر أن يطـير في الهـواء، أو يقلب الإنســان حمــارًا والحمــار إنســانًا، إلا أنّهم قــالوا: إن الله يخلق الأشياء عندما يقول الساحر تلك الرّقى والكلمات المعيّنة، فأما أن يكـون المـؤثر في ذلك هو الفلك والنجـوم فلا، خلافًا للفلاسـفة والمنجّمين والصابئة، ثم استدل على وقوع السحر وأنه بخلق الله تعــالى بقوله تعــالى: {وما هم بضــارّين به من أحد إلاّ بــإذن الله [2]}.

ومن الأخبـار بـأن رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم سحر، وأن السحر عمل فيه، وبقصة تلك المــرأة مع عائشة رضى الله عنهـا، وما ذكـرت تلك المـرأة من إتيانها بابل وتعلمها السـحر، قال: وبما يذكر في هذا الباب من الحكايات الكثيرة.

رجال زائغون سنّوا للناس سنةً سيئةً

من هؤلاء الزائغين الرافضة على اختلاف أصنافهم فقد قدحوا في أفاضل الصـحابة رضـوان الله عليهم، وردّوا من الشـرع مـالا يوافق أهواءهم، ومنهم بعض رءوس الاعتزال:

واصل بن عطــاء، فقد قــدح في أصــحاب الجمل وعلي ومن

---

2 سورة البقرة، الآية: 102.

معه، كما في "الفرق بين الفـرق" (ص100)ـ **ومنهم**: عمـرو بن عبيد بن باب، قال بفسق تلك الطائفتين المتقـاتلتين يـوم الجمـل، كما في "الفرق بين الفرق" (101)، **ومنهم**: إبراهيم النّظام، كما في "الفرق بين الفـرق" (ص134) فأئمة الضـلال من الـروافض والمعتزلة هم الـذين جـرّءوا النـاس على رد السـنن الصـحيحة، وعلى القـدح في الأئمة الأثبـات، وكل من انحـرف من أمة محمد صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم وسـلك هـذا السـبيل فهو سـالك سبيلهم، وهم الذين جرّءوا المستشـرقين على الطعن في السـنة المطهرة، وأصل الضـلال في هـذا البـاب هم أئمة الاعـتزال، وأما الرافضة فـإنّهم يطعنـون طعنًا سـخيفًا غـير معقـول ولا مقبـول، لأنّهم كما يقول شيخ الإسلام ابن تيميـة: أجهل النـاس بـالمعقول والمنقول.

وقد سـلك مسـلك هـؤلاء الـزائغين جمـال الـدين الإيـراني المتـأفغن، ومحمد عبـده المصـري، ومحمد رشـيد رضـا، ومحمد مصـطفى المـراغي، ومحمد فريد وجـدي، ومحمـود شـلتوت، وعبـدالعزيز جـاويش، وعبـدالقادر المغـربي، وأحمد مصـطفى المـراغي، وأبوريّة صـاحب الظلمـات، وأحمد أمين صـاحب "فجر الإسلام" و"ضحاه" و"ظهره"، وإني أقتصر على **بيان حال محمد رشيد رضا** لأن بعض الناس اغتروا بسلفيّته.

1- من التفسير المسمى بـ"المنـار" وهو بـالظلام أشـبه (ج1 ص351) قال: وأما قوله: {فقلنا اضربوه ببعضها كـذلك يحـيي

الله الموتى [1]} فهو بيـان لإخـراج ما يكتمـون. وبـروون في هذا الضـرب روايـات كثـيرة، قيل إن المـراد: اضـربوا المقتـول بلسانها، وقيل: بفخذها، وقيـل: بـذنبها... وقـالوا: إنّهم ضـربوه فعادت إليه الحياة، وقال: قتلني أخي أو ابن أخي فلان، الخ ما قالوه، والآية ليست نصًا في مجمله فكيف بتفصـيله. والظـاهر مما قــدمنا أن ذلك العمل كــان وســيلةً عنــدهم للفصل في الــدماء عند التنــازع في القاتل إذا وجد القتيل قــرب بلد ولم يعرف قاتله، ليعرف الجاني من غـيره، فمن غسل يـده وفعل ما رسم لذلك في الشريعة برئ من الــدم، ومن لم يفعل ثبتت عليه الجناية. ومعنى إحياء الموتى على هذا حفظ الدماء التي كـانت عرضةً لأن تسـفك بسـبب الخلاف في قتل تلك النفس، أي: يحييها بمثل هذه الأحكام. اهـ

وقد سبق أن استدل محمد رشـيد رضا وشـيخه بكلام نقله من التوراة وهذا مخالف لما رواه البخاري في "صـحيحه" من حـديث أبي هريــرة مرفوعًا: ((لا تصــدّقوا أهل الكتــاب ولا تكــذّبوهم وقولـوا آمنّا بالله وما أنـزل إلينا وما أنـزل إليكم)). بل مخـالف لما أخبرنا الله عن أهل الكتـاب أنّهم قد حرّفـوا التـوراة، وأتـوا بكلام من عندهم يزعمون أنه كلام الله.

وأما حـديث عبدالله بن عمـرو بن العـاص: ((وحـدّثوا عن بـني إسرائيل ولا حرج)). فـالمراد به ما أخبرنا الله أو رسـوله، وإلا فمن

---

1 سورة البقرة، الآية: 73.

أين لنا السـند إلى موسى عليه السـلام، والمحـدثون رحمهم الله يضعّفون المرسل، فكيف بماليس له سند والله أعلم.

وما ذكره المفسرون أن الله أحيا المقتول، فهذا ظاهر القـرآن، وما صـرفه محمد رشـيد وشـيخه إلا لموافقة أهل الكتـاب، ولأن المستشرقين لا

تتسع عقولهم لمعجزات النبوة، فـأرادوا أن يتقرّبـوا إليهم بهـذا التأويل المستبعد.

2- {ألم تر إلى الّذين خرجـوا من ديـارهم وهم ألـوف حـذر الموت فقال لهم الله موتوا ثمّ أحيـاهم إنّ الله لـذو فضل على النّاس ولكنّ أكثر النّاس لا يشكرون[1] }.

قال محمد رشيد رضا (ج2 ص457): أقـول: ولا يشـترط أن تكـون القصة في مثل هذا التعبـير واقعةً، بل يصح مثله في القصص التمثيليـة، إذ يـراد أن من شـأن مثلها في وضـوحه أن يكون معلومًا حـتى كأنه مـرئي بـالعينين. ومنه ما نبّهنا عليه من الفرق بين العطف بالفاء وبثم، وقد قالوا: إن العطف في قوله تعـالى: {وقـاتلوا} للإسـتئناف، لأن الجملة المبـدوءة بـالواو هنا جديدة لا تشارك ما قبلها في إعرابه ولا في حكمه الـذي يعطيه العطف، قال الأستاذ الإمام: وهذا لا يمنع أن يكـون بين الجملة المبـدوءة بـواو الاسـتئناف وبين ما قبلها تناسب وارتبـاط في

---

1 سورة البقرة، الآية: 243.

المعنى غـير ارتبـاط العطف والمشـاركة في الإعـراب، كما هو الشأن هنا، فإن الآية الأولى مبيّنة لفائدة القتال في الـدفاع عن الحق أو الحقيقة، والثانية آمرة به بعد تقرير حكمته وبيـان وجه الحاجة إليه، فالارتباط بينهما شديد الأواخي لا يعتريه التراخي.

خرجوا فارين {فقال لهم الله موتـوا} أي: أمـاتهم بإمكـان العدو منهم، فالأمر أمر التكوين لا أمر التشريع، أي: قضت سـنته في خلقه بـأن يموتـوا بما أتـوه من سـبب المـوت، وهو تمكين العدوّ المحارب من أقفـائهم بـالفرار، ففتك بهم وقتل أكـثرهم. ولم يصـرح بـأنّهم مـاتوا لأن أمر التكـوين عبـارة عن مشـيئته سـبحانه، فلا يمكن تخلفه، وللإسـتغناء عن التصـريح بقوله بعد ذلك: {ثمّ أحْياهم} وإنما يكون الإحياء بعد المـوت والكلام في القوم لا في أفراد لهم خصوصيّة، لأن المراد بيان سـنته تعـالى في الأمم الـتي تجبن فلا تـدافع العـادين عليها، ومعـنى حيـاة الأمم وموتها في عرف الناس جميعهم معروف. فمعنى مـوت أولئك القـــوم هو أن العـــدو نكل بهم فـــأفنى قوّتهم وأزال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعدّ أمةً بأن تفرّق شملها وذهبت جامعتها، فكـــان من بقي من أفرادها خاضـــعين للغـــالبين ضـــائعين فيهم، مـــدغمين في غمـــارهم، لا وجـــود لهم في أنفسهم وإنما وجودهم تابع لوجود غيرهم. ومعنى حياتهم هو عـود الاسـتقلال إليهم. ذلك أن من رحمة الله تعـالى في البلاء يصيب الناس أنه يكون تأديبًا لهم ومطهرًا لنفوسهم مما عـرض

لها من دنس الأخلاق الذميمة. أشـعر الله أولئك القـوم بسـوء عاقبة الجبن والخـــوف والفشل والتخـــاذل بما أذاقهم من مرارتها، فجمعـوا كلمتهم ووثقـوا رابطتهم حـتى عـادت لهم وحدتهم قوّةً فـاعتزوا وكـثروا إلى أن خرجـوا من ذل العبوديّة الـتي كـانوا فيها إلى عز الإسـتقلال، فهـذا معـنى حيـاة الأمم وموتها -يموت قوم منهم باحتمـال الظلم ويـذل الآخـرون حـتى كـأنّهم أمـوات، إذ لا تصـدر عنهم أعمـال الأمم الحية من حفظ سـياج الوحـدة وحماية البيضة بتكافل أفـراد الأمة ومنعتهم، فيعتبر الباقون فينهضون إلى تدارك ما فات والاسـتعداد لما هو آت، ويتعلمون من فعل عـدوهم بهم كيف يدفعونـه، قـال علي كـرم الله وجهـه: إن بقية السـيف هي الباقية. أي الـتي يحيا بها أولئك الميتـون، فـالموت والإحيـاء واقعـان على القـوم في مجمـوعهم على ما عهـدنا في أسـلوب القـرآن إذ خـاطب بـني إسرائيل في زمن تنْزيله بما كان من آبـائهم الأولين بمثل قولـه: {أنجيْنـاكم من آل فرْعـون[1]} وقولـه: {ثمّ بعثنـاكم من بعْـد موتكم} وغير ذلـك، وقلنـا: إن الحكمة في هـذا الخطـاب تقرير معنى وحدة الأمة وتكافلها وتأثير سيرة بعضها في بعض حـتى كأنّها شـخص واحد وكل جماعة منها كعضو منـه، فـإن انقطع العضو العامل لم يكن ذلك مانعًا من مخاطبة الشـــخص بما عمله قبل قطعـه، وهـذا الاسـتعمال معهـود في سـائر الكلام

---

1 سورة الأعراف، الآية: 141.

العـربي، يقـال: هجمنا على بـني فلان حـتى أفنينـاهم أو أتينا عليهم، ثم أجمعـوا أمـرهم وكـروا علينا (مثلاً). وإنما كر عليهم من بقي منهم.

أقــول: وإطلاق الحيــاة على الحالة المعنوية الشــريفة في الأشـخاص والأمم والمـوت على مقابلها معهـود كقوله تعـالى: {ياأيّها الّــذين ءامنــوا استــجيبوا لله وللرّســول إذا دعــاكم لما يحــييكم[1]}، وقولــه: {أومن كــان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نــورًا يمشي به في النّــاس كمن مثله في الظّلمــات ليس بخــارج منها[2] }الآية، وانظر إلى دقة التعبـير في عطف الأمر بـالموت على الخروج من الديار بالفاء الدالة على اتصـال الهلاك بـالفرار من العدو، إلى عطفه الاخبـار بإحيـائهم بثم الدالة على تـراخي ذلك وتــأخره، ولأن الأمة إذا شــعرت بعلة البلاء بعد وقوعه بها وذهابه باستقلالها فإنه لا يتيسر لها تدارك ما فــات، إلا في زمن طويل، فما قــرره الأســتاذ الإمــام هو ما يعطيه النظم البليغ وتؤيده السنن الحكيمة، وأما الموت الطـبيعي فهو لا يتكـرر كما علم من سنة الله ومن كتابه إذ قال: {لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الأولى[3]} وقـال: {وأحْييتنا اثنـتيْن[4]}، ولـذلك أوّل بعضـهم الموت هنا بأنه نوع من السكتة والاغمـاء الشـديد لم تفـارق به

---

1 سورة الأنفال، الآية: 24.

2 سورة الأنعام، الآية: 122.

3 سورة الدخان، الآية: 56.

4 سورة غافر، الآية: 11.

الأرواح أبدانها، وقد قال بعدما قرره: هذا هو المتبادر فلا نحمّل القـرآن مـالا يحمل لنطبقه على بعض قصص بـني إسـرائيل، والقـرآن لم يقل إن أولئك الألـوف منهم كما قـال في الآيـات الآتية وغيرهـا، ولو فرضـنا صـحة ما قـالوه من أنّهم هربـوا من الطـاعون وأن الفائـدة في إيـراد قصـتهم بيـان أنه لا مفر من الموت لما كان لنا مندوحة عن تفسير إحيائهم بأن البـاقين منهم تناسلوا بعد ذلك وكثروا، وكانت الأمة بهم حيّةً عزيـزةً، ليصح أن تكـون الآية تمهيـداً لما بعـدها مرتبطة به، والله تعـالى لا يأمرنا بالقتـال لأجل أن نقتل ثم يحيينا بمعـنى أنه يبعث من قتل منا بعد موتهم في هذه الحياة الدنيا. اهـ

أقول: نحن نؤمن بظاهر القرآن، والحامل على هذا التأويل أن عقول المستشرقين لا تخضع لهذا.

3- قوله تعـالى: {أو كالّـذي مـرّ على قرية وهي خاوية على عروشـها قـال أنّى يحـيي هـذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثمّ بعثه قال كم لبثت قال لبثت يومًا أو بعض يوم قـال بل لبثت مائة عـام فـانظر إلى طعامك وشـرابك لم يتسـنّه وانظر إلى حمـارك ولنجعلك ءايـةً للنّـاس وانظر إلى العظـام كيف ننشزها ثمّ نكسـوها لحمًا فلمّا تـبيّن له قـال أعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير[1]}.

---

1 سورة البقرة، الآية: 259.

قال محمد عبـده (ج3 ص49) في الكلام على قـول الله عز وجــل: {فأماته الله مائة عـام ثمّ بعثه}: قـالوا: معنـاه ألبثه الله مائة عام ميتًا. وذلك أنّ المـوت يكـون في لحظة واحـدة، قـال الأستاذ الإمام: وفاتهم أنّ من المـوت ما يمتد زمنًا طـويلاً، وهو ما يكـون من فقد الحس والحركة والإدراك من غـير أن تفـارق الـروح البـدن بـالمرّة، وهو ما كـان لأهل الكهف، وقد عبّر عنه تعالى بالضرب على الآذان. أقـول: ولعل وجهه أن السـمع آخر ما يفقد من إدراك من أخذه النـوم أو المـوت، وهـذا المـوت أو الضرب على الآذان، هو المـراد بالشق الثـاني من قوله تعـالى: {الله يتــوفّى الأنفس حين موتها والّــتي لم تمت في منامها[2]} والبعث هو الإرسـال. فـإذا كـان هـذا النـوع من المـوت يكـون بتوفي النفس أي: قبضها، فزواله إنما يكون بإرسالها وبعثها.

وأقـول: قد ثبت في هـذا الزمـان أن من النـاس من تحفظ حياته زمنًا طويلاً يكون فيه فاقد الحس والشعور ويعبّرون عن ذلك بالسبات، وهو النوم المستغرق الذي سماه الله وفـاةً، وقد كتب إلى مجلة "المقتطـف" سـائل يقـول: إنه قـرأ في بعض التقاويم أن امـرأةً نـامت (5500) يـوم، أي: بلياليها من غـير أن تسـتيقظ سـاعة ما في خلال هـذه المـدة. وسـأل: هل هـذا صحيح؟ فأجابه أصـحاب المجلة بـأنّهم شـاهدوا شـابًا نـام نحو شهر من الزمان، ثم أصيب بدخل في عقله. وقـرأوا عن أنـاس

---

2 سورة الزمر، الآية: 42.

ناموا نومًا طويلاً أكثره أربعة أشهر ونصف، واستبعدوا أن ينام إنسان مدة (5500) أي أكثر من 15 سنة نومًا متواليًا، وقالوا: إنّهم لا يكادون يصدقون ذلك. نعم إن الأمر غير مألوف، ولكن القادر على حفظ الإنسان أربعة أشهر ونصف و(15) سنة، قادر على حفظه مائة سنة، وإن لم نهتد إلى سنته في ذلك، فلبْث الرجل الذي ضرب على سمعه هناك مثلاً مائة سنة غير محال في نظر العقل، ولا يشترط عندنا في التسليم بما تواتر به النص من آيات الله تعالى، وأخذها على ظاهرها، إلاّ أن تكون من الممكنات دون المستحيلات، وإنما ذكرنا ما وصل إليه علم بعض الناس من هذا السبات الطويل الذي لم يعهده أكثرهم. لأجل تقريب إمكان هذه الآية من أذهان الذين يعسر عليهم التمييز بين ما يستبعد لأنه غير مألوف وما هو محال لا يقبل الثبوت لذاته. اهـ.

أقول: وفي قصة الحمار نحو ذلك من التحريف، فكأنه موكل بتحريف ما لا تتسع له عقول أعداء الإسلام.

4- {وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي قال فخذ أربعةً من الطّير فصرهنّ إليك ثمّ اجعل على كلّ جبل منهنّ جزءًا ثمّ ادعهنّ يأتينك سعيًا واعلم أنّ الله عزيز حكيم[1] }.

---

1 سورة البقرة، الآية: 260.

قال محمد عبده كما في "المنار" الذي هو بالظلام أشبه(ج3 ص55): ملخص معنى الآية عند الجمهور: أن إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم طلب من ربه أن يطلعه على كيفية إحياء الموتى، فأمره تعالى بأن يأخذ أربعة من الطير فيقطعهن أجزاء يفرقها على عدة جبال هناك، ثم يدعوها إليه فتجيئه، وقالوا: إنه فعل ذلك. وخالفهم أبومسلم المفسر الشهير فقال: ليس في الكلام ما يدل على أنه فعل ذلك، وما كلّ أمر يقصد به الامتثال، فإن من الخبر ما يأتي بصيغة الأمر، لاسيما إذا أريد زيادة البيان كما إذا سألك سائل: كيف يصنع الحبر مثلاً؟ فتقول: خذ كذا وكذا وافعل كذا وكذا يكن حبرًا. تريد هذه كيفيته، ولا تعني تكليفه صنع الحبر بالفعل. قال: وفي القرآن كثير من الأمر الذي يراد به الخبر، والكلام ههنا مثل لإحياء الموتى. ومعناه: خذ أربعةً من الطير فضمها إليك وآنسها بك حتى تأنس وتصير بحيث تجيب دعوتك فإن الطيور من أشد الحيوانات استعدادًا لذلك، ثم اجعل كل واحد منها على جبل، ثم ادعها فإنّها تسرع إليك لا يمنعها تفرق أمكنتها وبعدها من ذلك.

كذلك أمْر ربك إذا أراد إحياء الموتى، يدعوهم بكلمة التكوين (كونوا أحياء) فيكونوا أحياء، كما كان شأنه في بدء الخلق إذ قال للسموات والأرض: ائتيا طوعًا أو كرهًا. قالتا: أتينا طائعين، هذا ما تجلى به تفسير أبي مسلم، وقد أورده الرازي

مختصرًا. وقال:

والغـرض منه ذكر مثـال محسـوس في عـود الأرواح إلى الأجساد على سبيل السهولة، وأنكر (يعني أبا مسلم) القول بأن المراد منه فقطعهن واحتج عليه بوجوه:

الأول: أن المشهور في اللغة في قولـه: {فصرْهنّ} أملهن، وأما التقطيع والذبح فليس في الآية ما يدل عليه، فكـان إدراجه في الآية إلحاقًا لزيادة بالآية لم يدل الدليل عليها وأنه لا يجوز.

والثاني: أنه لو كان المراد بصرّهن قطعهن لم يقل: {إليْك} فإن ذلك لا يتعـدى بـإلى، وإنما يتعـدى بهـذا الحـرف إذا كان بمعنى الإمالة، فإن قيـل: لم لا يجـوز أن يكـون في الكلام تقديم وتأخير، والتقـدير: فخذ إليك أربعةً من الطـير فصـرهن؟ قلنـا: الـتزام التقـديم والتـأخير من غـير دليل ملجئ إلى التزامه خلاف الظاهر.

والثالث: أن الضمير في قوله: {ثمّ ادْعهنّ} عائد إليها لا إلى أجزائهـــا، وإذا كـــانت الأجـــزاء متفرقةً متفاصـــلة، وكـــان الموضـــوع على كل جبل بعض تلك الأجـــزاء، يلـــزم أن يكـــون الضـمير عائـدًا إلى تلك الأجـزاء لا إليهـا، وهو خلاف الظـاهر، وأيضًـــا الضـــمير في قولـــه: {يأتينك ســـعيًا } عائد إليها لا إلى أجزائها، وعلى قولكم إذا سعى بعض الأجـزاء إلى بعض كـان الضمير في: {يأتينك } عائدًا إلى أجزائها لا إليها.

واحتج القائلون بالقول المشهور بوجوه:

الأول: أن كل المفسرين الذين كانوا قبل أبي مسلم أجمعوا على أنه حصل ذبح تلك الطيور وتقطيع أجزائها، فيكون إنكار ذلك إنكارًا للإجماع.

والثاني: أن ما ذكره غير مختص بإبراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلا يكون له فيه مزيّة على الغير.

والثالث: أن إبراهيم أراد أن يريه الله كيف يحيي الموتى، وظاهر الآية يدل على أنه أجيب إلى ذلك، وعلى قول أبي مسلم لا تحصل الإجابة في الحقيقة.

والرابع: أن قوله: {ثمّ اجْعل على كلّ جبل منهنّ جزءًا} يدل على أن تلك الطيور جعلت جزءًا جزءًا.

قال أبومسلم: في الجواب عن هذا الوجه: أنه أضاف الجزء إلى الأربعة فيجب أن يكون المراد بالجزء الواحد من تلك الأربعة. والجواب: أن ما ذكرته وإن كان محتملاً، إلا أن حمل الجزء على ما ذكرنا أظهر، والتقدير فاجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءًا أو بعضًا. اهـ كلام الرازي.

آية فهم الرازي وغيره فيها خلاف ما فهمه جميع المفسرين من قبله، ولم يقل أحد: أنّ فهْم فئة من الناس حجة على فهم الآخرين، على أن ما فهمه أبومسلم هو المتبادر من عبارة الآية الكريمة، وما قالوه مأخوذ من روايات حكمّوها في الآية ولآيات الله الحكم الأعلى، وعلى ما في تلك الرواية هي لا تدل.

وأما قوله: إن ما ذكره أبومسلم غير مختص بإبراهيم، فلا يكون فيه مزيّة. فهو مردود بأن هذا المثال لكيفية إحياء الله للموتى أو لكيفية التكوين فيه توضيح لها وتحديد لما يصل إليه علم البشر من أسرار الخليقة، ولا دليل على أن العلم بذلك كان عامًا في الناس، فيقال: إنه لا خصوصية فيه لإبراهيم. على أنه يرد مثل هذا الإيراد على حجة إبراهيم على الذي آتاه الله الملك، وحجته على عبدة الكواكب في سورة الأنعام، فإن مثل هذه الحجج التي أيد الله تعالى بها إبراهيم مما يحتج به الرازي وغيره، فهل ينفي ذلك أن تكون هدايةً من الله لإبراهيم وإخراجًا من ظلمات الشبه التي كانت محيطةً بأهل زمنه إلى نور الحق، وقد قال تعالى: {وتلك حجّتنا ءاتيناها إبراهيم[1] }الآية.

وأما قوله: إن إجابة إبراهيم إلى ما سأل لا تحصل بقول أبي مسلم وإنما تحصل بقول الجمهور، فالأمر بعكسه، وذلك أن إتيان الطيور بعد تقطيعها وتفريق أجزائها في الجبال لا يقتضي رؤية كيفية الإحياء. إذ ليس فيها إلا رؤية الطيور كما كانت قبل التقطيع، لأن الإحياء حصل في الجبال البعيدة، وافرض أنك رأيت رجلاً قتل وقطّع إربًا إربًا ثم رأيته حيًا أفتقول حينئذ: إنك عرفت كيفية إحيائه؟ هذا ما يدل عليه قولهم. وأما قول أبي مسلم فهو الذي يدل على غاية ما يمكن

---

1 سورة الأنعام، الآية: 83.

أن يعرف البشر من سر التكوين والإحياء، وهو توضيح معنى قوله تعالى للشيء: {كنْ فيكون} ولولا أن الله تعالى بيّن لنا ذلك بما حكاه عن خليله لجاز أن يطمع في الوقوف على سر التكوين الطامعون، ولو فهم الرازي هذا لما قال: إنه لا خصوصية لإبراهيم على الغير. وهذا النوع من الجواب قريب من جواب موسى إذ طلب رؤية الله تعالى، ومن جواب السائلين عن الأهلة وليس مثلهما من كل وجه فإنه بيّن وأوضح ما يمكن علمه في المسألة نفسها ونهى عما زاد على ذلك، وجملة القول: أن تفسير أبي مسلم هو المتبادر الذي يدل عليه النظم وهو الذي يجلي على الحقيقة في المسألة فإن كيفية الإحياء هي عين كيفية التكوين في الابتداء. وإنما تكون بتعلق إرادة الله تعالى بالشيء المعبر عنه بكلمة التكوين (كن) فلا يمكن أن يصل البشر إلى كيفية له إلا إذا أمكن الوقوف على كنْه إرادة الله تعالى وكيفية تعلقها بالأشياء. وظاهر القرآن وهو ما عليه المسلمون أن هذا غير ممكن، فصفات الله منزهة عن الكيفية، والعجز عن الإدراك فيها هو الإدراك، وهو ما أفاده قول أبي مسلم رحمه الله تعالى: ومما يؤيده في النظم المحكم قوله تعالى: {ثم اجْعلْ} فإنه يدل على التراخي الذي يقتضيه إمالة الطيور وتأنيسها على أن لفظ: {صرْهنّ} يدل على التأنيس. ولولا أن هذا هو المراد لقال: فخذ أربعة من الطير فقطعهن واجعل

على كل جبل منهن جزءًا، ولم يذكر لفظ الإمالة إليـه، ويعطف جعلها على الجبال بثم. ويدل عليه أيضًا ختم الآية باسم العزيز الحكيم، دون اسم القدير، والعزيز هو الغالب الذي لا ينال، وما صرف جمهـور المتقـدمين عن هـذا المعـنى على وضـوحه إلا الروايـة، بأنه جـاء بأربعة طيـور من جنس كـذا وكـذا وقطعها وفرقها على جبال الدنيا، ثم دعاها فطار كل جزء إلى مناسبه، حتى كانت طيورًا تسرع إليه، فـأرادوا تطـبيق الكلام على هـذا ولو بـــالتكلف. وأما المتـــأخرون فهمهم أن يكـــون في الكلام خصائص للأنبياء من الخوارق الكونية. وإن كان المقـام مقـام العلم والبيان والإخراج من الظلمات إلى النور وهو أكبر الآيات، ولكل أهل زمن غـــرام في شـــيء من الأشـــياء يتحكم في عقـــولهم وأفهـــامهم. والـــواجب على من يريد فهم كتـــاب الله تعالى أن يتجـرد من التـأثر بكل ما هو خـارج عنه فإنه الحـاكم على كل شـيء، ولا يحكم عليه شـيء. ولله در أبي مسـلم ما أدق فهمه وأشد استقلاله فيه. اهـ

وأنت ترى أن ظاهر القرآن مع الجمهور، وليس هناك ما يوجب صرفه عن ظاهره، وأبومسلم من أئمة الابتداع المعتزلة.

5- {إذ قـال الله ياعيسى إنّي متوفّيك ورافعك إليّ ومطهّـرك من الّذين كفروا[1] }.

---

1 سورة آل عمران، الآية: 55.

يقـول محمد عبـده كما في "المنـار " (ج3 ص316) الـذي هو بـالظلام أشـبه: يقـول بعض المفسـرين: إني متوفيـك، أي منوّمــك، وبعضــهم: إني قابضك من الأرض بروحك وجســدك ورافعك إلي بيان لهذا التوفي، وبعضهم: إني أنجيك من هـؤلاء المعتدين فلا يتمكنـون من قتلك وأميتك حتف أنفـك، ثم أرفعك إليّ، ونسب هــذا القــول إلى الجمهــور، وقــال: للعلمــاء ههنا طريقتان: **إحداهما** وهي المشهورة: أنه رفع حيًا بجسمه وروحـــه، وأنه ســـينْزل في آخر الزمـــان فيحكم بين النـــاس بشـــريعتنا ثم يتوفـــاه الله تعـــالى. ولهم في حياته الثانية على الأرض كلام طويل معروف، وأجاب هـؤلاء عما يـرد عليهم من مخالفة القرآن في تقديم الرفع على التـوفي بـأن الـواو لا تفيد ترتيبًا، -أقول: وفاتهم أن مخالفة الترتيب في الـذكر للـترتيب في الوجود لا يـأتي في الكلام البليغ إلا لنكتـة، ولا نكتة هنا لتقـديم التـــوفي على الرفع إذ الرفع هو الأهم، لما فيه من البشـــارة بالنجاة ورفعة المكانة-.

(قال): **والطريقة الثانية**: أن الآية على ظاهرها، وأن التوفي على معنـاه الظـاهر المتبـادر وهو الإماتة العاديـة، وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح، ولا بدع في إطلاق الخطـاب على شـخص وإرادة الـروح، فـإن الـروح هي حقيقة الإنسـان والجسد كالثوب المسـتعار فإنه يزيد وينقص ويتغـير، والإنسـان إنسان لأن روحه هي هي. (قال): ولصاحب هـذه الطريقة في

حديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان: **أحدهما**: أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقـادي لأنه من أمـور الغيب، والأمـور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بـــالقطعي، لأن المطلـــوب فيها هو اليقين، وليس في الباب حديث متواتر.

وثانيهما: تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسرّ رســـالته على النـــاس، وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والســـــلم، والأخذ بمقاصد الشـــــريعة دون الوقـوف عند ظواهرهـا، والتمسك بقشـورها دون لبابهـا، وهو حكمتها وما شرعت لأجله، فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهـود بشريعة جديدة، ولكنه جاءهم بما يزحـزحهم عن الجمـود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهها والمراد منها، ويأمرهم بمراعاته وبما يجذبهم إلى عـالم الأرواح بتحري كمال الآداب، أي: ولما كان أصحاب الشريعة الأخـيرة قد جمـدوا على ظـواهر ألفاظها بل وألفـاظ من كتب فيهـا، معـبرًا عن رأيه وفهمه وكـــان ذلك مزهقًا لروحها ذاهبًا بحكمتها كـــان لابد لهم من إصـلاح عيسـوي يـبين لهم أسـرار الشـريعة وروح الدين وأدبه الحقيقي، وكل ذلك مطوي في القرآن الذي حجبـوا عنه بالتقليد الـــذي هو آفة الحق وعـــدوّ الـــدين في كل زمـــان، فزمان عيسى على هـذا التأويل هو الزمـان الـذي يأخذ النـاس فيه بروح الدين والشريعة الإسـلامية، لإصـلاح السـرائر من غـير تقيد بالرسوم والظـواهر، هـذا ما قاله الأسـتاذ في الـدرس مع

بسط وإيضاح، ولكن ظواهر الأحـاديث الـواردة في ذلك تأبـاه، ولأهل هــذا التأويل أن يقولــوا: إن هــذه الأحــاديث قد نقلت بالمعنى كأكثر الأحاديث، والناقل للمعنى ينقل ما فهمه. وســئل عن المســيح الــدجال وقتل عيسى له فقــال: إن الــدجال رمز للخرافـات والـدجل والقبـائح الـتي تـزول بتقرير الشـريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمهـا، وإن القـرآن أعظم هـاد إلى هذه الحكم والأسرار، وسنة الرسـول صـلى الله عليه وعلى آله وسلم مبينة لذلك فلا حاجة للبشر إلى إصـلاح وراء الرجـوع إلى ذلـك، وســنعود إلى مبحث ما جــرى للمســيح عليه الســلام مع الماكرين الذين أرادوا قتله وصلبه في تفسير ســورة النســاء إن شاء الله تعالى. اهـ

وأحاديث نزول عيسى وخروج الدجال لدى أهل العلم متواترة، ولكن سهل على هؤلاء الذين سلكوا مسلك جمال الدين الإيـراني المتــأفغن ردها والقــدح فيها وتحريفهــا، وإني أنصح للشــباب المصــري ولعلمــاء مصر أن يطهــروا مصر من هــذه الأفكــار الإلحادية. وفّقهم الله لذلك إنه على كل شيء قدير.

وبما أنه ليس لدي وقت لتفنيد ما في هـذا الكتـاب من الضـلال فإني أكتفي بهذا وما تركته أكثر وأكثر. وقد اخترت هذا الكتاب من بين ســائر كتبهم الزائغة لأن كثــيرًا من النــاس يغــترون بالكتــاب وبـــــالمؤلف، ففي ذات مـــــرة ونحن بفصل الدراسة بالجامعة الإسلامية تحدّث مدرس التفسير عن التفاسـير وما دخل عليها من

الدخيل، فسأله طالب أي تفسير أحسن؟ فقال: تفسير المنار، فروجع الأستاذ ولم يقبل.

وفى أخرى كنت أحذر من أئمة الضلال وذكرت منهم جمال الدين الإيراني المتأفغن، ومحمد عبده المصري، ومحمد رشيد رضا، وكان ذلك بمسجد (النزيلي) بصنعاء وبعد أيام التقيت بأخ محب للخير فنصحني أن لا أذكرهم فإنّهم قدموا خدمات جليلة للإسلام، ولم يكن الوقت متسعًا لتفهيم الأخ ببعض ضلالهم.

وفى أخرى كتب إليّ من مصر بعض الأخوة يقول: إنه قيل له: لم ذكرت محمد رشيد في ✌الصحيح المسند من دلائل النبوة✍ وشاركته مع أولئك في الضلال، وهو معروف بالسلفية، فكتبت للأخ: إقرأ كتابه "المنار" الذي هو بالظلام أشبه، وكذا مجلة "المنار" وستقول إن شاء الله: أف لهذه السلفية، ستجده بعيدًا عن السلفية، والسلفية بعيدة عنه، فأنا أحيل طلبة العلم الذين قد عرفوا الحق من الباطل أن يرجعوا إلى كتبه، وأنا متأكد أنّهم سيعلمون أنه بريء من السلفية، والسلفية بريئة منه.

لا نكتفي من محمد رشيد رضا بمحاربة التقليد، وهو أكبر المقلدين لجمال الدين، ومحمد عبده، لا نكتفي بمهاجمة الشرك والبدع، وهو يحرّف كتاب الله ويرد من سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما لا يتمشى مع أفكار جمال الدين ومحمد عبده.

نحن بحمد الله لا نكتفي بالدعاوي، بل لابد من البراهين

والاستقامة، وسلوك طريقة السلف. والله المستعان.

فإن قلت: أين أضر على الإسلام محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، أم محمد رشيد رضا؟ قلت: محمد رشيد رضا، لأنه عالم بعلم الحديث، فهو يستطيع أن يلبّس على الجهال بعلم السنة ولذا فقد أكثر النقل عنه أبوريّة في ظلماته، ولما سئل عن ذلك قال ما معناه: إن محمد رشيد رضا عالم كبير ومشهور بالسلفية فأحب أن يكون كلامي مقبولاً.

هذا وقد طلب بعض إخواني في الله مزيداً من البراهين على بعد محمد رشيد رضا عن السلفية. فأقول: الذي نفهمه عن النسبة السلفية أن معناها الانقياد لشرع الله انقياداً شمولياً كما قال تعالى: {ياأيّها الّذين ءامنوا ادخلوا في السّلم كافّةً[1]} وقد أنكر الله على من أخذ من الدين ما يوافق هواه فقال عز من قائل: {أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزي في الحياة الدّنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب وما الله بغافل عمّا تعملون [2]}.

وقال سبحانه وتعالى: {إنّ الّذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتّخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون

---

1 سورة البقرة، الآية: 208.

2 سورة البقرة، الآية: 85.

حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا [1]}.

وقال سبحانه وتعالى: {فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجًا ممّا قضيت ويسلّموا تسليمًا [2]}.

أولئك الانْهزاميون الذين انْهزموا أمام أعداء الإسلام وأصبحوا يحرفون ما لا تتقبله عقولهم، كأنّهم مفوضون في شرع الله فأصبحوا يتبعون أهواء الملحدين في تحريف المعجزات وغيرها من شرع الله، ورب العزة يقول لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: {وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتّبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولّوا فاعلم أنّما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإنّ كثيرًا من النّاس لفاسقون[3]}.

ويقول سبحانه وتعالى: {ولئن اتّبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنّك إذًا لمن الظّالمين} [4].

ويقول سبحانه وتعالى: {ثمّ جعلناك على شريعة من الأمر فاتّبعها ولا تتّبع أهواء الّذين لا يعلمون إنّهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا وإنّ الظّالمين بعضهم أولياء بعض والله وليّ المتّقين [5]}.

---

1 سورة النساء، الآية: 151.

2 سورة النساء، الآية: 65.

3 سورة المائدة، الآية: 49.

4 سورة البقرة، الآية: 145.

5 سورة الجاثية، الآيتان: 18-19.

ويقول سبحانه وتعالى: {وما كـان لمـؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبينًا [1]}.

ويقول سبحانه وتعالى : {وإن كـادوا ليفتنونك عن الّـذي أوحينا إليك لتفـتري علينا غـيره وإذًا لاتّخـذوك خليلا ولـولا أن ثبّتنـاك لقد كـدت تـركن إليهم شـيئًا قليلا إذًا لاذقنـاك ضـعف الحيـاة وضـعف الممات ثمّ لا تجد لك علينا نصيرًا [2]}.

هــذا ومما ينبغي أن يعلم أنه ليس بيــني وبين محمد رشــيد عــداوة دنيويــة، فهو شــاميّ وأنا يمنيّ، وكلانا يجمعنا الإســلام، ولكني رأيت له ولجمال الدين الأفغاني ولمحمد عبده ومن ســلك مسلكهم أخطـاءً اشـمأز منها قلـبي، ورأيت أنه لا يجـوز السـكوت عليهــا، وأنا بحمد الله أعلم أنه ردّ على كثــير من المبتدعــة، منهم الرافضة فقد رأيت الرافضي الأثيم محسن أمين العـــــاملي في كتابه "كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب" ذلك الكتاب الـذي يـدعو إلى الوثنيّـة، رأيته فيه يـرد على محمد رشـيد رضـا، ويتوجع من ردود محمد رشــيد رضا عليهم، لكني أريد أن أبيّن أن الرجل ليس ملتزمًا بمذهب السلف الذي هو قبول ما جاء عن الله وعن رسـوله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم، من غـير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تضــعيف لأحــاديث صــحيحة، ولا تصــحيح

---

1 سورة الأحزاب، الآية: 36.

2 سورة الإسراء، الآيات: 73-75.

لأحاديث ضعيفة، وقد تقدمت بعض الآيـات وتحريفها عما يخرجها عن تفسيرِ السلف رحمهم الله، وإليك ما يتيسر لي الآن:

1- قـال في "المنـار" (ج11 ص155): ولـولا حكاية القـران لآيـات اللّه الـتي أيّـد بها موسى وعيسى عليهما السـلام لكـان إقبال أحرار الإفرنج عليه أكثر، واهتداؤهم به أعم وأسرع، لأن أساسه قد بنيِ على العقل والعلم وموافقة الفطـرة البشـرية، وتزكية أنفس الأفراد وترقية مصالح الاجتماع. اهـ المراد منه.

فهل هــذا الكلام يتمشى مع ما رواه البخــاري ومســلم في صحيحيهما، عن أبي هريرة رضى اللّه عنه قال: قـال النـبيِ صـلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: ((ما من الأنبيـاء من نـبيّ إلا قد أعطي من الآيـات ما مثله آمن عليه البشـر، وإنّما كـان الّـذي أوتيت وحيًا[1] أوحى اللّه إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة)).

اللّه سبحانه وتعالى وصف القـرآن بأنه يهـدي للـتي هي أقـوم وأنه شفاء وأنه نور، وقد تأثر بالقرآن بعض كفار قريش، كما في قصة جبيرِ بن مطعم أنه قدم على النبي صـلى اللّه عليه وعلى آله وسـلم، والنـبي صـلى اللّه عليه وعلى آله وسـلم يصـليِ بأصـحابه المغرب يقـرأ سـورة الطـور، قـال: فلما بلغ إلى قوله تعـالى: {أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون} كـاد قلـبيِ أن يطـير=وفي

1 الوحيِ يشمل الكتاب والسنة فإن قال قائل: المراد به هنا القرآن، قلنا: سلّمنا جدلاً فالمراد المعجزة العظمى الخالدة، ولا ينفي ما عـداها من المعجزات.

رواية- فوقع الإيمان في قلبي.

وتأثر به الجن كما في سورة الأحقاف والجن، وهؤلاء الإفرنج يجـوز أنّهم لم يبلّغـوا القـرآن على الوجه الصـحيح، أو أنّهم بلّغـوا ولكنهم معاندون كما حصل لبعض مشركي قريش.

وقد ذكـرت شـيئًا من هـذا في مقدمة ✌الصـحيح المسـند من دلائل النبوة✍.

ويجوز أن الله ما قـدّر هـدايتهم كما قـال تعـالى: {ولو جعلنـاه قرءانًا أعجميًّا لقالوا لولا فصّـلت ءاياته ءأعجميّ وعـربيّ قل هو للّـذين ءامنـوا هـدًى وشـفاء والّـذين لا يؤمنـون في ءاذانهم وقر وهو عليهم عمًى أولئك ينادون من مكان بعيد [1]}.

وتأثر النجاشي عند أن قرأ عليه جعفر بن أبي طالب القرآن ثم إسلامه معروف رواه أحمد في "مسنده".

وقال الله سبحانه وتعالى: {ولتجدنّ أقربهم مودّةً للّذين ءامنوا الّذين قـالوا إنّا نصـارى ذلك بـأنّ منهم قسّيسـين ورهبانًا وأنّهم لا يستكبرون وإذا سـمعوا ما أنـزل إلى الرّسـول تـرى أعينهم تفيض من الــدّمع ممّا عرفــوا من الحــقّ يقولــون ربّنا ءامنّا فاكتبنا مع الشّــاهدين وما لنا لا نـؤمن بالله وما جاءنا من الحـقّ ونطمع أن يدخلنا ربّنا مع القوم الصّالحين فأثابهم الله بما قالوا جنّـات تجـري من تحتها الأنْهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين [2]}.

---

1 سورة فصلت، الآية: 44.

2 سورة المائدة، الآيات: 82-85.

وأخيرًا نقول لأفراخ الإفرنج: {ءأنتم أعلم أم الله}[1].

2- قوله تعالى: {ولقد علمتم الّذين اعتـدوا منكم في السّـبت فقلنا لهم كونـوا قـردةً خاسـئين فجعلناها نكـالاً لما بين يـديها وما خلفها وموعظةً للمتّقين [2]}.

أبعد النجعة محمد رشــيد رضا في "المنــار" (ج1 ص345) واختار أنه مسخ معنوي، تابعًا في ذلك مجاهدًا لأن رأي مجاهد موافق لهواه.

وفي(ج9 ص379) من "المنار"، ذكر القولين وسكت، وجمهور المفســرين رحمهم الله على أنه مسخ حقيقي، قــال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر أثر مجاهد (ج1 ص190): وهـذا سـند جيد عن مجاهد، وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره قال الله تعـالى: {قل هل أنبّئكم بشــرّ من ذلك مثوبـــةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القـــردة والخنازير وعبد الطّاغوت[3]}. اهـ

ثم قال ابن كثير رحمه الله ص(192) قلت: والغـرض من هـذا السياق عن هـؤلاء الأئمة بيـان خلاف ما ذهب إليه مجاهد رحمه الله من أن مسـخهم إنما كـان معنويًا لا صـوريًّا، بل الصـحيح أنه معنـوي صـوري، والله تعـالى أعلم. اهــ. يعـني أنه يشـمل مسخ

---

1 سورة البقرة، الآية: 140.

2 سورة البقرة، الآيتان: 65-66.

3 سورة المائدة، الآية: 60.

صورهم، وبشمل مسخ أخلاقهم.

3- قــال البخــاري رحمه الله (ج8 ص164): حــدثني محمد حـدثنا عبـدالرحمن بن مهـدي عن ابن المبـارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النـبي صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم قـال: ((قيل لبـني إسـرائيل {ادخلـوا الباب سجّدًا وقولـوا حطّة} [1] فـدخلوا يزحفـون على أسـتاههم فبدّلوا وقالوا حطّة حبّة في شعرة)).

محمد رشيد رضا في تفسير سـورة البقـرة بعد أن اعـترف أنه في الصحيح يقول: ولكنه لا يخلو من علّة إسرائيلية، وســنبين ذلك في تفسير المسألة من سورة الأعراف.

وقـال في سـورة الأعـراف (ج9 ص373): ولا ثقة لنا بشـيء مما روي في هذا التبـديل من ألفـاظ عبرانية ولا عربيـة، فكله من الإسـرائيليات الوضـعيّة كما قاله الأسـتاذ الإمـام هنالـك، وإن خرّج بعضه في الصحيح والسنن موقوفًا ومرفوعًا كحـديث أبي هريـرة المرفوع في الصحيحين وغيرهما لبني إسـرائيل: {وادخلـوا البـاب سجّدًا وقولوا حطّة} فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدّلوا وقالوا حطّة حبّة في شعرة)) ، وفي روايـة: ((شـعيرة)). رواه البخـاري في تفسير السورتين من طريق همـام بن منبه أخي وهب، وهما صاحبا الغرائب في الإسرائيليات، ولم يصرح أبوهريرة بسماع هذا من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فيحتمل أنه ســمعه من

---

1 سورة البقرة، الآية: 58.

كعب الأحبـار، إذ ثبت أنه روى عنه، وهـذا مـدرك عـدم اعتمـاد الأستاذ رحمه الله على مثل هذا من الإسرائيليات, وإن صح سنده، ولكن قـلّ ما يوجد في الصـحيح المرفـوع شـيء يقتضي الطعن في سندها. اهـ

وهذا يدل أن محمد رشـيد رضا لم يغيّر منهجه عن شـيخه في التفسـير بـالرأي، ولكنه يسـتكثر من الاسـتدلال بالسـنة إذا كـانت موافقة لهـواه، بل أقبح من هـذا أنه يسـتدل بـأقوال الصـوفية والرافضة إذا كانت موافقةً لهواه.

4- {ياأيّها الّذين ءامنوا لا تأكلوا الرّبا أضعافًا مضـاعفةً واتّقـوا الله لعلّكم تفلحون[1]} .

يهوّن الأمر في ربا الفضل، "المنـار" (ج4 ص23-إلى ص130) وفي رسالة بعنوان ✌الربا والمعاملات في الإسـلام✍ (ص127)، وهو في (ج3 ص116) لا يـرى بأسًـا أن تعطي شخصًـا مـالاً يسـتغلّه ويجعل لك من كسـبه حظًا معينًـا، وهـذا من ربا النسـيئة فهو يهـوّن الأمر في ربا الفضل ويتسـامح في القليل من ربا النسيئة.

5- من اجتهادات محمد عبـده الباطلة، أنه يـرى جـواز الـتيمم للمسافر وإن كان واجدًا للماء، "المنار" (ج5 ص121و122).

6- قـال الإمـام مسـلم رحمه الله (ج8 ص78): حـدثنا عبـدالوارث بن عبدالصـمد بن عبـدالوارث وحجـاج بن الشـاعر

---

1 سورة آل عمران، الآية: 130.

كلاهما عن عبدالصمد واللفظ لعبدالوارث بن عبدالصمد حـدثنا أبي عن جدي عن الحسين بن ذكوان حدثنا ابن بريـدة حـدثني عامر بن شراحيل الشعبي شعب همدان، أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضـحاك بن قيس وكـانت من المهـاجرات الأول فقال: حـدّثيني حـديثًا سـمعتيه من رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم لا تسـنديه إلى أحد غـيره... فـذكرت الحـديث وفيه ذكر الجساسة والـــدجال، ثم ذكر له مســـلم طرفًا إلى الشعبي.

هذا الحديث يشكك فيه محمد رشيد رضا كما في "المنـار" (ج9 ص197) ولا أعلم عالمًا من علماء المسلمين تكلم فيـه، بل يمثّل به أهل المصـطلح لرواية الأكـابر عن الأصـاغر، وقد شـرحه تقي الدين أحمد بن على المقريزي بكتاب سـماه ✌ضـوء السـاري في معرفة خبر تميم الداري✍.

7- قوله تعـالى: {فمن جـاءه موعظة من ربّه فـانتهى فله ما سلف وأمـره إلى الله ومن عـاد فأولئك أصـحاب النّـار هم فيها خالدون[1]}.

يـدفع شـيخه القـول بخـروج مرتكـبي كبـيرة الربا من النـار، ويقرّه محمد رشيد رضا (ج3 ص98،99) من "المنار".

ويقــول محمد عبــده (ص102) في الكلام على قــول الله عز وجل: {ياأيّها الّـذين ءامنـوا اتّقـوا الله وذروا ما بقي من الرّبا إن

---

1 سورة البقرة، الآية: 275.

كنتم مؤمنين[2] }:

وهـذا يؤيد ما قلنا في مسـألة خلـود من عـاد إلى الربا بعد تحريمه في النار.اهـ

وهو ينكر خروج القاتل الموحد من النار، فقال محمد رشـيد رضا في "المنار" (ج5 ص341): أقول: وقد استكبر الجمهـور خلود القاتل في النار، وأوّله بعضهم بطـول المكث فيهـا، وهـذا يفتح باب التأويل لخلود الكفار- إلى آخر كلامه.

وأنت خبير أن الأحاديث متواترة بخروج الموحّـدين من النـار، وهو قول أهل السنة والجماعة.

8- تشـكيكه في أحـاديث الـدجال (ج9 ص490) إلى ص (499) وقد ألّف الأخ أحمد بن عيسى رسـالة ماجسـتير في أحـاديث الـدجال، وطعنه في أحـاديث المهدي (ج9 ص499- 504) وقد ألّف الشـيخ عبدالمحسن العبـاد رسـالة قيمة في أحاديث المهدي.

9- قول محمد رشيد رضا إنه يصح أن تكون الميكروبات نوعًا من الجن، "المنار" (ج3 ص96) وهذا كلام ما أنـزل الله به من سـلطان، بل هو منـاف لصـفات الجن الـواردة في الكتـاب والسنة.

10- طعنه في معجزة انشقاق القمر كما في "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير" (ص580)-إلى ص (586) وعزاه

---

2 سورة البقرة، الآية: 278.

إلى مجلة "المنار".

ومحمد رشيد رضا يشكك في المعجزات النبوية التي لم ترد في القرآن كلها كما في "المنار" (ج11 ص155).

11- تشـــكيك محمد عبـــده في أن آدم هو أبو البشر كلهم، وإقــرار محمد رشــيد له بل تأييــده (ج4 ص323،324،325)، وعدم إنكاره على الـذين يقولـون: إن أصل الإنسـان قـرد (ج4 ص327) من "المنار".

12- قـول محمد عبـده: إن الملائكة قوًى طبيعية أودعها الله في المخلوقــات. بمعــنى أن الملائكة ليســوا مخلــوقين خلقًا مستقلاً يصعدون وينْزلون، ويكتبون، وغير ذلك من تصــرفاتهم الواردة في الكتاب والسنة، ومحمد رشيد رضا يؤيد قول شيخه -راجع "المنار" (ج1 ص267-275).

13- يشكك في رفع عيسى بروحه وجسـده حيًا حيـاة دنيوية بهما ... وليس في القرآن نص صـريح بأنه يـنزل من السـماء، وإنما هذه عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا في كل زمــان منذ ظهور الإسلام إلى الآن بثها في المسـلمين. اهــ بـالمعنى من "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير" (ص712) وعزاه إلى مجلة "المنــار" (الجــزء العاشر من المجلــد28 ص756)، وهذا يخالف ظاهر القرآن بـدون برهـان، ثم إن نـزول عيسى من أمارات الساعة، والأحـاديث في ذلك متـواترة، ولو لم تكن متــواترة وورد حــديث واحد صــحيح الســند ســالم من العلة

والشذوذ لوجب قبوله.

14- قال البخاري رحمه الله (ج8 ص296): حـدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبدالواحد حدثنا عمـارة حـدثنا أبوزرعة حـدثنا أبوهريرة رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم: ((لا تقـوم السّـاعة حتّى تطلع الشّـمس من مغربهـا، فـإذا رآها النّـاس آمن من عليهـا، فـذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل)).

ثم قـــال البخـــاري رحمه الله: حـــدثني إســـحاق أخبرنا عبـدالرزاق أخبرنا معمر عن همـام عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم : ((لا تقـوم السّـاعة حتّى تطلع الشّـمس من مغربهـا، فـإذا طلعت ورآها النّاس آمنوا أجمعـون، وذلك حين لا ينفع نفسًـا إيمانها)) ثم قرأ الآية.

ورواه البخـاري (ج1 ص352) من حـديث الأعـرج عن أبي هريرة به.

وأخرجه مســـــلم (ج2 ص371) من حـــــديث العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة به.

هذا الحديث من الأحاديث التي طعن فيها محمد رشـيد رضـا، "المنار" (ج8 ص210،211).

15- قال الإمام البخاري رحمه الله (ج6 ص297): حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم الـتيمي عن

أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قـال النـبي صـلى الله عليه وعلى آله وسلم لأبي ذر حين غـربت الشـمس: ((أتـدري أين تـذهب))؟ قلت: الله ورسـوله أعلم. قـال: ((فإنّها تـذهب حتّى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لهـا، يقـال لهـا: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعـالى: {والشّـمس تجـري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم))}.

وأخرجه مسلم (ج2 ص372) رقم (397).

هــذا الحــديث يطعن فيه كما في "المنــار" (ج8 ص211) ويقول: إن الإمام أحمد قال: إن إبراهيم بن يزيد لم يسمع من أبي ذر، وقد ذكـــره هو عن إبـــراهيم عن أبيه عن أبي ذر، فسبحان من أعمى بصيرته، أعني أن الحـديث مـرويّ عن يزيد والد إبراهيم عن أبي ذر، لا عن إبراهيم عن أبي ذر.

وبعد فإن الحـديث مـرويّ عن جماعة من الصـحابة كما في "تفسـير ابن كثـير" (ج2 ص194) منهم: حذيفة بن أسـيد، رواه مسـلم (ج18 ص235) بـرقم (7215)ـ ومنهم: صـفوان بن عسال، رواه الترمـذي (ج5 ص545)ـ والنسـائي في "الكـبرى" وابن ماجة (ج2 ص1353)، ومنهم: عبدالله بن عمــرو، رواه مسلم (ج18 ص280) برقم (7359).

ولا أعلم عالمًا من علماء المسلمين طعن فيه.

16- قدحه في كعب الأحبار ووهب بن منبه، "المنـار" (ج9 ص

480) وهو لم يسبق إلى هذا، اللهم إلا قول معاوية رضي الله عنه في كعب الأحبار: إنه يكذب، ولكنه مـؤول على أنه بمعـنى الخطأ، كما في "الفتح" (ج13 ص346) طبعة الريان.

ووهب وثقه أبوزرعة والنسائي، وقال عمـرو بن علي: كـان ضعيفًا كما في "تهذيب التهـذيب"، ووهب من رجـال الشـيخين، وكعب الأحبـار روى له البخـاري تعليقًـا، ومسـلم موصـولاً، كما ذكره الحافظ في "تهذيب التهذيب".

17- ثناؤه على جمال الدين الأفغاني:

وقد أنكر عليه بعض معاصـريه فقـال أبوالهـدى الصـيادي لمحمد رشـــيد رضا: (إني أرى جريـــدتك طافحة بشقاشق المتأفغن جمال الدين الملفقة، وقد تـدرجت به الحسـينية الـتي يزعمها زورًا، وقد ثبت في دوائر الدولة رســميًا أنه مازنــدراني من أحلاف الشـــيعة). اهـــ من "منهج المدرسة العقلية في التفسير" ص(76).

وإذا أردت أن تعـرف شـيئًا عن ضـلال جمـال الـدين قـرأت "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفســـــير" للأخ فهد بن عبدالرحمن الرومي، وكتاب "دعوة جمـال الـدين الأفغـاني في الميزان الإسلامي" للأخ: مصطفى فوزي بن عبداللطيف غزال.

18- ثناؤه على محمد عبده وفتنته به:

فتن محمد رشيد رضا بمحمد عبـده، حـتى أنكر عليه يوسف النبهاني فقال:

فذاكرته في شـــيخه وهو عبـــــــــــــــــــده

تملكه الشيطان عن قومه قســـــــــــــــــــــرًا

فقلت له لو كـــابن ســـيناء زعمتم

وعـــالم فـــاراب وأرفعهم قـــــــــــــــــــــدرًا

لقلنا لكم: حقًا وإن كان باطلاً

ولم نر من هــذا على ديننا ضـــــــــــــــــــــرًا

ولكنكم مع تركه الحج مـــــــــــــــــــرة

وحج لباريز وللندن عشـرًا

ومع تركه فـــرض الصـــلاة ولم يكن

يسر بـــذا بل كـــان يتركها جهـــــــــــــــــــــرًا

ومع كونه شـيخ المســون مجـــــــــــــــــاهرًا

بـــذلك لا يخفي إخـــوتهم ســـــــــــــــــــرًا

ومع غير هـذا من ضـلالاته التي تقولون: أستـاذ إمـام لـــــــــــــــــــدينا

بها ســار مثل الســهم للجهة الأخـــــــــــــــــــرى

ونحن نـــراه عنـــدنا شر فـاسق

فما أكذب الـدعوى وما أقبح الأمـــــــــــــــــــرا

فيقتل فسقًا بالشـريعة أو كفرًا

قـال أبوعبـدالرحمن: ابن سـيناء والفـارابي ملحـدان، وبوسف النبهاني مخرّف، ولا مانع من قبول الحق ممن كان.

وأما كون شخص هداه الله للسنة على يدي محمد رشيد رضـا،

فهو يرى أنه لزامًا عليه أن يـدافع عنـه، فهـذا أمر عجيب، فما أكـثر الناس الذين هداهم الله على أيـدي جماعة التبليغ ثم تحولـوا إلى السنة، ثم أصبحوا بحمد الله يحذّرون من بدع جماعة التبليغ.

ومن الناس من يهديه الله للإسلام على أيدي الصوفية، ثم يرى هزة الـرءوس عند الـذكر، ويلتمس طريقة أهل السـنة الـتي هي الطريق القويم، ومن النـاس من يكـون قد هـداه الله على أيـدي بعض الإخوان المسلمين، فتـدعوه إلى السـنة فيقـول: أنا يـاأخي كنت ضائعًا فهداني الله على أيدي الإخوان المسلمين، فتقـول لـه: أنت انتقلت من ضياع سهل إلى ضياع مستصعب، وأنا أدعـوك إلى الطريق القـويم، إلى سـنة رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى تعلّمها ثم العمل بها ثم الدعوة إليهـا، {والله يهـدي من يشاء إلى صراط مستقيم}.

فكونك قد هداك الله للسنة على يدي محمد رشيد رضا، لا يدل أنه على الصراط المستقيم، وإذا أردنا أن نثْبت للشـخص السـلفية فلابد أن نعـرض أعماله على أعمـال السـلف الـذين لا يرفعـون رأسًـا إلا لقـول الله وقـول رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم، وقد أصـبحت السـلفيّة سـتارًا ينـدرج تحته حـالق اللحية المتشـبه بأعـداء الإسـلام، مهلاً مهلاً أيها المسـلمون اتقـوا الله، ودعوا هذه الإدّعاءات، فقد أصـبح عـوام المسـلمين وطلبة العلم المبتـدئين أضحيتهمـا، {ياأيّها الّـذين ءامنـوا اتّقـوا الله وكونـوا مع

الصّادقين[1]}.

{ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به ولا يجد له من دون الله وليًّا ولا نصيرًا ومن يعمل من الصّالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون نقيرًا ومن أحسن دينًا ممّن أسلم وجهه لله وهو محسن واتّبع ملّة إبراهيم حنيفًا واتّخذ الله إبراهيم خليلاً[2]}.

فليست السلفية بالإدعاءات، ولكنها استسلام لله وقبول ما جاء عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وبعض الصحابة رضوان الله عليهم عند أن أنزل الله سبحانه وتعالى: {وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله[3]} شق عليهم ذلك فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((أتريدون أن تقولوا كما قال أهْل الكتابين من قبْلكم: سمعْنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعْنا، فلما أذعن القوم أنزل الله في إثرها: {آمن الرّسول بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون} إلى قوله: {لا يكلّف الله نفسًا إلاّ وسْعها}. إلى آخر السورة. رواه بهذا المعنى مسلم من حديث أبي هريرة وابن عباس.

لسنا نقبل أن يتحمس الشخص للدين من جوانب، ويهدمه من

---

1 سورة التوبة، الآية: 119.

2 سورة النساء، الآية: 123.

3 سورة البقرة، الآية: 284.

جـانب، فأصـحاب المدرسة العقلية الحديثة لا يـرون حجيّة حـديث الآحــاد، والــدين أغلبه من طريق الآحــاد، ويقــدمون العقل على النقل فهل هــذه طريقة الســلف؟. وليس عنــدي من كتب محمد رشيد رضا إلا "المنار" ورسالة في الربا، ولو أردت استقصاء ما ردّ من الأحاديث أو شكك فيه، لكان مجلدًا، أفكان سلفنا كذلك.

ائتـوني بسـلفي حـرّف ما تقـدم من الآيـات، ورد ما تقـدم من الأحــاديث، وأضــعاف أضــعافها، والرجل لم يــؤت من جهل فقد بهرتني كثرة استدلالاته، وسعة اطلاعه، ولكنه صاحب هـوى، فتن بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

أما آثـار المدرسة العقلية على الـدين فإفسـاد الأزهر، والتـبرج والسفور، ومهاجمة السنة، وما ذكرت شـيئًا بالنسـبة لكتـاب "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير" وكتاب "دعوة جمال الـدين الأفغاني في ميزان الإسلام".

وكون محمد رشيد خالف أسـتاذه بعد وفـاة أسـتاذه كما ذكـره في "المنار" ص(16) فهل أقصر عن رد الأحـاديث الـتي لا توافق هـواه؟ الجـواب: لا، فقد انتهى شـيخه محمد عبـده عند تفسـير: {وكـان الله بكـلّ شـيء محيطًا}آية (125) من سـورة النسـاء كما في "المنــار" ثم مشى على تضــعيف ما لم يوافق هــواه، وهل تراجع عن الأحــاديث الــتي وافق شــيخه على تضــعيفها، وكــان الواجب عليه أن ينبّه في أثنـاء التفسـير وعند مناسـبات المواضـيع من الأحاديث.

ولما كان فعل أصحاب المدرسة العقلية الحديثة يهدم الإسلام وكثير من الناس لا يعلمون أن الطعن في حديث الآحاد طعن في الدين كله، وقد اهتم العلماء رحمهم الله برد هذه الفكرة الخطيرة على الدين فرد عليهم الإمام الشافعي رحمه الله في "الرسالة"، والإمام البخاري في "صحيحه" عقد كتابًا للرد عليهم وأبومحمد ابن حزم في كتاب "إحكام الأحكام" وابن القيم رحمه الله في كتاب "الصواعق المرسلة"، وردّهم لما يخالف أهواءهم من السنة أمر قد أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال الإمام أبوداود رحمه الله (ج12 ص354): حدثنا عبدالوهاب بن نجدة أخبرنا أبوعمرو بن كثير بن دينار عن حريز بن عثمان عن عبدالرحمن ابن أبي عوف عن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: ((ألا إنّي أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه، ألا لا يحلّ لكم الحمار الأهليّ، ولا كلّ ذي ناب من السّبع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه)).

عبدالرحمن بن أبي عوف مستور الحال يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات.

والحديث له شواهد، منها الذي بعده على أنه قد تابعه الحسن بن جابر اللخمي، كما عند الترمذي، وهو مستور الحال، فالحـديث حسن لغيره.

قال أبـوداود رحمه الله (ج12 ص356): حـدثنا أحمد بن محمد بن حنبل وعبدالله بن محمد النفيلي قالا أخبرنا سفيان.

حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل وعبدالله بن محمد النفيلي وابن كثير قالوا حـدثنا سـفيان عن أبي النضر عن عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قـال: ((لا ألفينّ أحـدكم متّكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمـري ممّا أمـرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتّبعناه)).

فـإن رأينا من يجـادل أو يـدافع عن بعد محمد رشـيد رضا عن السلفية، فإننا إن شـاء الله سـنكلف بعض إخواننا بجمع ما ردّه أو شك فيه أو شكّك من السـنن، ولكننا يعلم الله (نسـتثقل) هـذا أو نراه تحصيل حاصل، فأحاديث الـدجال قد جمعت وحكم العلمـاء بتواترها، وأحـاديث المهـدي قد جمعت وحكم العلمـاء بتواترهـا، وكان قـدح ابن خلـدون فيها نقيصة فيـه، ودليل على قصـوره في علم الحـديث، وهكـذا حـديث انشـقاق القمر وغيرها من دلائل النبـوة، قد جمعت الصـحيح منها في "الصـحيح المسـند من دلائل النبـوة" والـذي أعتقـده وأدين الله به أن دعـوة جمـال الـدين الأفغـاني ومن سـلك مسـلكه، نكبة على الإسـلام، وجناية على العلم، وفتح باب للشر بجميع أنواعه، وفتح بـاب لأعـداء الإسـلام،

وللفسقة من المسلمين، للطعن فيما لا يوافقهم من السنن.

على أنني أحمد الله فقد استيقظ الشباب المصري، وعلمـوا أن هـذه دعـوة هدّامة للـدين فجـزاهم الله خـيرًا، وإذا كنا لا نرضى بتقليد أئمة الهدى، مثل: مالك والشافعي وأحمـد، فنحن بحمد الله عن تقليد هؤلاء أبعد. وهـذا من فضل الله علينا والحمد لله الـذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

شبهة وجوابها

قـال الله سـبحانه وتعـالى: {هو الّـذي أنـزل عليك الكتـاب منه ءايـات محكمـات هنّ أمّ الكتـاب وأخر متشـابهات فأمّا الّـذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغــاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم يقولون ءامنّا به كلّ من عند ربّنا وما يذّكّر إلاّ أولو الألباب[1]}.

---

1 سورة آل عمران، الآية: 7.

وقــال البخــاري رحمه الله (ج8 ص209): حــدثنا عبدالله بن مسـلمة حـدثنا يزيد بن إبـراهيم التسـتري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذه الآية : {هو الّـذي أنـزل عليك الكتـاب منه آيـات محكمـات هنّ أمّ الكتـاب وأخر متشـابهات فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغــاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والرّاسـخون في العلم يقولـون آمنّا به كلّ من عند ربّنا وما يـذّكّر إلا أولو الألبـاب} قـالت: قـال رسـول صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم: ((فـإذا رأيت الّـذين يتّبعـون ما تشابه منه، فأولئك الّذين سمّى الله فاحذروهم)).

هذه الشبهة أن بعض المعاصرين ممن جمع بين بدعة الخوارج وبدعة المعتزلة، سمعته يستدل على دفع حـديث السـحر بقــول الله عز وجــل: {إذ يقــول الظّــالمون إن تتّبعــون إلاّ رجلاً مسحورًا[1]}.

وقوله تعـــالى: {وقـــال الظّـــالمون إن تتّبعـــون إلاّ رجلاً مسحورًا [2]}.

قـال: فلو قلنا بصـحة الحـديث لوافقنا المشـركين في هـذه الدعوى.

قـال أبوعبـدالرحمن: وليست هـذه بـأول انْهزامية للمعاصـرين

---

1 سورة الإسراء، الآية: 47.

2 سورة الفرقان، الآية: 8.

أمام أهل الباطل، وما أكثر المعجزات الـتي أنكروهـا، لأن عقـول أعداء الإسلام لا تتقبّلها، وما أكثر الأحكام التي حرّفوها أو ردوها، لأنّها لا تتمشى مع ما عليه المجتمـــــع، وما أوتي هـــــذا القائل المسـكين إلا من قبل نفسـه، إذ قد نبذ المسـكين كلام الصـحابة، وكلام أهل التفسـير، وكلام الفقهـاء، وكلام المحـدثين، وزعم أنه يعتمد على نفسه وهو جاهل باللغة العربية وبغيرها من الوسائل، ولسنا ندعوه إلى تقليد هـؤلاء الأئمة رحمهم الله، ولكن إلى الاســتفادة من فهمهم، وإلا فالتقليد في الــدين محــرم، وقد ذكرت جملة من الأدلة في كتابي ✌المخـرج من الفتنة✍ وأنا ذاكر لك كلام بعض المفسرين حول هذه الآية:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (ج3 ص310) في الكلام على قول الله عز وجل: {وقال الظّالمون إن تتّبعون إلاّ رجلاً مسـحورًا }قال الله تعـالى: {انظر كيف ضـربوا لك الأمثـال فضـلّوا }أي: جـاءوا بما يقـذفونك بـه، ويكـذبون به عليك من قـولهم: سـاحر، مسحور، مجنـون، كذّاب، شـاعر، وكلها أقـوال باطلة كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم في ذلك. اهـ المراد منه.

والحافظ ابن كثـير هو الــذي ذكر حــديث الســحر في تفســير سورة الفلق محتجًا به رحمه الله.

وقال الشوكاني رحمه الله (ج4 ص63): أي ما تتبعون إلا رجلاً مغلوبًا على عقله بالسحر، وقيل: ذا سحر، وهي الرئة، أي بشر له

رئة لا ملك.اهـ

والشـوكاني هو الـذي ذكر حـديث السـحر في تفسـير سـورة الفلـق، لعلم هـذين المفسـريْن رحمهمـا الله بأنه لا تعـارض بين الحـديث وبين الآيـتين، لأن الحـديث يحمل على ما وجّهه الإمـام القاضي عياض والحافظ ابن حجر وغيرهما من علمـاء الإسـلام، والحديث قد تلقّاه علماء الإسلام بالقبول، فقد اتفق على إخراجه البخـاري ومسـلم، وما اتفقا عليه فهو أعلى مرتبة في الصـحة كما في كتب المصـطلح، ثم لم ينتقـده الـدارقطني ولا أبومسـعود الدمشـقي، ولا أبـوعلي الجيـاني، ولا أبومحمد بن حـزم، ممن تصدى لنقد بعض الأحـاديث المعلة الـتي في الصـحيحين، ولسـنا نتوقع من علماء الكلام وغيرهم من ذوي الزيغ أن يعظمـوا سـنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسـلم، بل دأبهم التنفـير عنها وتلقيب حملتها بالألقـاب المنفّـرة، وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه "تأويل مختلف الحديث" الشيء الكثير من سـخريّتهم بأهل السـنة ،ولكن أبى الله إلاّ أن ينصر أهل السنة، ويـذلّ أهل البدعة والحمد لله.

وهذا الحديث الصحيح يهدم على المبتدعة عقيدتهم أن السـحر ليس بحقيقة ولكنه تخيّل، فلذلك هم يحاولون التشـكيك فيه وفي غيره من السـنن الـتي تخـالف أهـواءهم فبـاءوا بـالخزي، وتمت كلمة ربك هي العليـا، وصـدق الله إذ يقـول: {إنّا نحن نزّلنا الـذّكر

وإنّا له لحافظون[1]}.

واحتج بعضهم بقوله: { والله يعصمك من النّاس[2]}.

وهذا شأن من لا يرجع إلى كتب التفسير، ولا يدري المتقدم من المتأخر فهذه الآية من آخر ما أنزل، كما ذكره الحافظ ابن كثير فقد سحر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكسرت رباعيته وشج رأسه قبل نزولها، ثم إن المراد: يعصمك من القتل والأسر والتلف، وإلا فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأبي وأمي بشر يجري عليه ما يجري على البشر، قال الله سبحانه وتعالى: {قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد[3] }.

قال البخاري رحمه الله (ج12 ص339): حدثنا محمد بن كثير عن سفيان عن هشام عن عروة عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ((إنّما أنا بشر، وإنّكم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجّته من بعض وأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حقّ أخيه شيئًا فلا يأخذه فإنّما أقطع له قطعةً من النّار)).

وقال البخاري رحمه الله (ج1 ص503): حدثنا عثمان قال حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: قال عبدالله:

---

1 سورة الحجر، الآية: 9.

2 سورة المائدة، الآية: 67.

3 سورة الكهف، الآية: 110.

صلّى النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم -قال إبراهيم: لا أدري زاد أو نقص- فلمّا سلّم قيل له: يا رسول الله أحدث في الصّلاة شيء؟ قال: ((وما ذاك)) قالوا: صلّيت كذا وكذا، فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين، ثمّ سلّم فلمّا أقبل علينا بوجهه قال: ((إنّه لو حدث في الصّلاة شيء لنبّأتكم به، ولكن إنّما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكّروني، وإذا شكّ أحدكم في صلاته فليتحرّ الصّواب فليتمّ عليه، ثمّ ليسلّم ثمّ يسجد سجدتين)).

فنبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم بشر، يجري عليه ما يجري على البشر، كسرت رباعيته وشج رأسه.

قال الإمام البخاري رحمه الله (ج7 ص372): حدثنا إسحاق بن نصر حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن همام سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((اشتدّ غضب الله على قوم فعلوا بنبيّه -يشير إلى رباعيته- اشتدّ غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله)).

حدثني مخلد بن مالك حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((اشتدّ غضب الله على من قتله النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في سبيل الله، اشتدّ غضب الله على قوم دمّوا وجه نبيّ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم)).

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب عن أبي حازم أنه سمع

سـهل بن سـعد وهو يسـأل عن جـرح رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: أما والله إنّي لأعرف من كان يغسل جــرح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة عليها السّلام بنت رسول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم تغسـله، وعليّ يسـكب المـاء بـالمجنّ، فلمّا رأت فاطمة أنّ الماء لا يزيد الدّم إلا كـثرةً أخـذت قطعـةً من حصــير فأحرقتها وألصــقتها، فاستمسك الــدّم، وكســرت رباعيته يومئذ، وجرح وجهه، وكسرت البيضة على رأسه.

حـدثني عمـرو بن علي حـدثنا أبوعاصم حـدثنا ابن جـريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قـال: اشـتدّ غضب الله على من قتله نبيّ اشتدّ غضب الله على من دمّى وجه رسـول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

قال الإمام النووي رحمه الله في "شـرح صـحيح مسـلم" (ج12 ص148): وفى هذا وقوع الانتقـام والابتلاء بالأنبيـاء صـلوات الله وســلامه عليهم، لينــالوا جزيل الأجــر، ولتعــرف أممهم وغــيرهم ماأصــابهم ويتأســوا بهم، قــال القاضــي: وليعلم أنّهم من البشر تصيبهم محن الدنيا، ويطرأ على أجسـامهم ما يطـرأ على أجسـام البشر، ليـتيقّنوا أنّهم مخلوقـون مربوبـون، ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات وتلبيس الشيطان من أمرهم، ما لبّسه على النصارى. اهـ.

وردّهم السنة الـتي لا يـدل عليها القـرآن في فهمهم السـقيم،

علم من أعلام النبـوة، فقد قـال النـبي صـلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((ألا وإنّي أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهـذا القـرآن فما وجـدتم فيه من حلال فأحلّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه)).

رواه أبــوداود من حــديث المقــدام بن معــدي كــرب، وفيه عبدالرحمن بن أبي عـوف، وهو مسـتور الحـال يصـلح حديثه في الشـــواهد والمتابعـــات، وقد تابعه الحسن بن جـــابر، كما عند الترمذي، وهو مستور الحـال، فالحـديث حسن لغـيره، وله شـاهد من حـــديث أبي رافع عند أبي داود، وقد ذكرتهما بســـنديهما في "الصحيح المسند من دلائل النبوة".

الطاعنون في الحديث

قدح الجصاص في حديث السحر:

قـال (ج1 ص49)[1]: وقد أجـازوا من فعل السـاحر ما هو أطم من هذا وأفظع، وذلك أنّهم زعموا أن النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسلم سحر، وأن السحر عمل فيه حتى قال فيه: ((إنّـه يتخيّـل لي أني أقول الشّيء وأفعلـه، ولم أقلْـه ولم أفعلْـه)) وإن امـرأة يهوديةً سحرته في جف طلعة ومشط ومشاقة، حـتى أتـاه جبريل عليه الســـلام فـــأخبره أنّها ســـحرته في جف طلعة، وهو تحت

1 من كتابه "أحكام القرآن".

راعوفة البئر فاستخرج، وزال عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذلك العارض، وقد قال الله تعالى وهو مكذبًا للكفار فيما ادعوه من ذلك للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال جل من قائل: {وقال الظّالمون إن تتّبعون إلاّ رجلاً مسحوراً} ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعبًا بالحشو الطغام واستجرارًا لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام والقدح فيها، وأنه لا فرق بين معجزات الأنبياء وفعل السحرة، وأن جميعه من نوع واحد، والعجب ممن يجمع بين تصديق الأنبياء عليهم السلام، وإثبات معجزاتهم وبين التصديق بمثل هذا من فعل السحرة مع قوله تعالى: {ولا يفلح السّاحر حيث أتى} فصدّق هؤلاء من كذّبه الله، وأخبر ببطلان دعواه وانتحاله، وجائز أن تكون المرأة اليهودية بجهلها فعلت ذلك، ظنًا منها بأن ذلك يعمل في الأجساد وقصدت به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأطلع الله نبيه على موضع سرها، وأظهر جهلها فيما ارتكبت وظنت، ليكون ذلك من دلائل نبوته، لا أن ذلك ضرّه وخلط عليه أمره، ولم يقل كل الرواة إنه اختلط عليه أمره، وإنما هذا اللفظ زيد في الحديث ولا أصل له.اهـ

طعن محمد عبده ومحمد رشيد رضا:

قال الأخ فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي في كتابه "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير" ص(346-351):

ومن هذا ما ورد في "صحيح البخاري" و"مسلم" عن عائشة

رضى الله عنها قـالت: سـحر رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم رجل من بني زريق، يقـال لـه: لبيد بن الأعصـم، حتّى كـان رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم يخيّل إليه أنّه يفعل الشّيء وما فعله، حتّى إذا كان ذات يـوم أو ذات ليلة وهو عنـدي، لكنّه دعا ودعـا، ثمّ قـال: ((يا عائشة أشـعرت أنّ الله أفتـاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسـي، والآخر عند رجليّ، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرّجـل؟ فقـال: مطبـوب. قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أيّ شـيء؟ قـال: في مشط ومشاطة وجفّ طلع نخلة ذكر. قـال: وأين هـو؟ قـال: في بئر ذروان)) فأتاها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ناس من أصحابه، فجاء فقال: ((يا عائشة كـأنّ ماءها نقاعة الحنّاء، أو كـأنّ رءوس نخلها رءوس الشّياطين)) قلت: يا رسـول الله أفلا استخرجته؟ قال: ((قد عافاني الله، فكرهت أن أثوّر على النّاس فيه شرًّا)) فأمر بها فدفنت. رواه البخـاري ومسـلم، واللفظ للبخاري.

قال ابن القيم رحمه الله تعـالى عن هـذا الحـديث: (ثـابت عند أهل العلم بالحـديث، لا يختلفـون في صـحته، وقد اتفق أصـحاب الصـحيحين على تصـحيحه، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحـديث بكلمة واحــدة، والقصة مشــهورة عند أهل التفســير، والســنن، والحديث، والتـاريخ، والفقهـاء، وهـؤلاء أعلم بـأحوال رسـول الله وأيامه من المتكلمين).

وقال الأستاذ عبدالقادر الأرنؤوط: ورواه أيضًا أحمد والنسائي وابن سعد والحاكم وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي في "دلائل النبوة" وغيرهم.

وقال ابن القيم في "بدائع الفوائد": وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم متلقّى عندهم بالقبول.

تلكم درجة ذلك الحديث، ولنسجل هنا في مقابلة هذا ما ذهب إليه الأستاذ الإمام محمد عبده في تفسيره لقوله تعالى: {ومن شرّ النّفّاثات في العقد} حيث يقول:

(وقد رووا هنا أحاديث في أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سحره لبيد بن الأعصم، وأثّر سحره فيه حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله أو يأتي شيئًا وهو لا يأتيه، وأن الله أنبأه بذلك وأخرجت مواد السحر من بئر وعوفي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة.

ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئًا وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية، بل هو ماس بالعقل، آخذ بالروح، وهو مما يصدّق قول المشركين فيه: {إن تتّبعون إلاّ رجلاً مسحورًا}.

وليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله، وخيّل له أن شيئًا يقع وهو لا يقع، فيخيّل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه.

وقد كان كثير من المقلّدين الذين لا يعقلون ما هي النبـوة وما يجب لها أن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح، فيلزم الاعتقاد به، وعدم التصديق به من بدع المبتدعين، لأنه ضـرب من إنكار السحر، وقد جاء القرآن بصحة السحر.

فـانظر كيف ينقلب الـدين الصـحيح، والحق الصـريح في نظر المقلّد بدعة، نعـوذ باللـه، يحتج على ثبـوت السـحر، ويعـرض عن القرآن في نفيه السحر عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعـدّه من افتراء المشركين عليه، ويؤول في هذه ولا يؤول في تلك، مع أن الـذي قصـده المشـركون ظـاهر لأنّهم كـانوا يقولـون: إن الشيطان يلابسه عليه السلام، وملابسة الشيطان تعـرف بالسـحر عندهم وضرب من ضروبه، وهو بعينه أثر السحر الـذي نسب إلى لبيد، فإنه قد خالط عقله وإدراكه في زعمهم.

والـذي يجب اعتقـاده أن القـرآن مقطـوع بـه، وأنه كتـاب الله بالتواتر عن المعصوم صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم فهو الـذي يجب الاعتقاد بما يثبته، وعـدم الاعتقـاد بما ينفيـه، وقد جـاء بنفي السحر عنه عليه السلام، حيث نسب القول بإثبات حصـول السـحر له إلى المشـركين أعدائه، ووبّخهم على زعمهم هـذا، فـإذن هو ليس بمسحور قطعًا.

وأما الحديث على فرض صحته، فهو آحـاد والآحـاد لا يؤخذ بها في باب العقائد، وعصمة النبي من تأثير السـحر في عقله عقيـدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا بـاليقين، ولا يجـوز أن يؤخذ

فيها بالظن والمظنون.

على أن الحديث الذي يصل إلينا من طريق الآحـاد، إنما يحصل الظن عند من صح عنــده، أما من قــامت له الأدلة على أنه غــير صـحيح فلا تقـوم به عليه حجـة، وعلى أي حـال فلنا بل علينا أن نفــوض الأمر في الحــديث، ولا نحكمه في عقيــدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل).

ثم قال: (على أن نافي السحر بالمرة لا يجـوز أن يعد مبتـدعًا، لأن الله تعـــالى ذكر ما يعتقد به المؤمنـــون في قولـــه: {آمن الرّســـول} وفي غيرها من الآيـــات ووردت الأوامر بما يجب على المسلم أن يؤمن به حتى يكون مسـلمًا، ولم يـأت في شـيء من ذلك ذكر السحر، على أنه مما يجب الإيمان بثبوتـه، أو وقوعه على الوجه الــذي يعتقد به الوثــنيون في كل ملــة، بل الــذي ورد في الصحيح هو أن تعلّم السحر كفر، فقد طلب منا أن لا ننظر بـالمرة فيما يعرف عند الناس بالسحر ويسمى باسمه).

ومـاذا نقـول بعد هـذا في موقف الأسـتاذ الإمـام، هل يكفي وصف تلميذه لسـيد رشـيد رضا لـه: (بأنه كـان مقصّـرًا في علـوم الحديث من حيث الرواية والحفظ والجرح والتعديل؟) لا، لا يكفي ذلـك، بل قد تجـاوزه الإمـام محمد عبـده فحـتى المقصـرين في علوم الحديث يدركون أنه ليس من حقهم الخـوض في الأحـاديث تصحيحًا وتضعيفًا، حـتى يـدركوا أصـول ذلـك، فكيف بـرد ما رواه البخاري ومسلم.

ثم لنستمع إلى رأي الشيخ رشيد رضا في هذا مدافعًا عن أستاذه وملتمسًا مخرجًا آخر له ولرجال المدرسة كافة، حيث قال بعد سياقه للحديث السابق: (فهذا الحديث صريح في أن المراد من السحر فيه خاص بمسألة مباشرة النساء، ولكن فهم أكثر العلماء أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم سحر سحرًا أثّر في عقله كما أثر في جسده، فأنكره بعضهم، وبالغوا في إنكاره وعدوه مطعنًا في النبوة ومنافيًا للعصمة، لقول عائشة: حتى إنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله. فعظمت هذه الرواية على علماء المعقول وعدوها مخالفة للقطعي في النقل، وهو ما حكاه الله تعالى عن المشركين من طعنهم فيه كعادة أمثالهم في رسلهم بقولهم: {إن تتّبعون إلاّ رجلاً مسْحورًا} وتفنيده تعالى لهم بقوله: {انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلاً} ومخالفة للقطعي في العقل من عصمة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كل ما ينافي النبوة والثقة بها، إذ يدخل فى ذلك التخييل ما هو من التشريع، ومخالفة لعلم النفس الذي يعلم منه أن الأنفس السافلة الخبيثة لا تؤثر في الأنفس العالية الطاهرة، فأنكر صحة الرواية بعض العلماء وأقدم من عرفنا ذلك عنهم من المفسرين الفقهاء أبوبكر الجصاص في كتابه "أحكام القرآن" وآخرهم شيخنا الأستاذ الإمام في "تفسير جزء عم"، وقد أطال شيخنا في هذا وبالغ فيه). ثم قال بعد هذا: (وقد محصت هذه المسألة مرارًا آخرها

في الرد على مجلة الأزهر "نور الإسلام" في زعمها المفتري أنني كذبت حديث البخاري في سحر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فبيّنت أن الحديث الصحيح في المسألة عن عائشة رضى الله عنها توهم عبارة بعض رواياته ما هو أعم من المعنى الخاص الذي أرادته منها، وهو مباشرة الزوجية بينه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبينها فقولها: كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لم يفعله، كناية عن هذا الشيء الخاص لا عام في كل شيء... وبينت أيضًا أن الرواية في أصح أسانيدها عند الشيخين عن هشام عن أبيه عن عائشة فيها علة من علل الحديث الخفية التي يشترط في صحة الحديث السلامة منها، وهى: أن بعض منكري الحديث أعلّوه بهشام هذا، وألّف بعضهم كتابًا خاصًا فيه محتجًا بقول بعض علماء الجرح والتعديل أنه كان في العراق يرسل عن أبيه عروة بن الزبير ما سمعه من غيره، وعروة هو راوية عائشة الثقة، وهى خالته وقال ابن خراش: كان مالك لا يرضاه، يعنى: هشامًا، وقد نقم منه حديثه لأهل العراق، وقال ابن القطان: تغيّر قبل موته، ولاشك أن تعديل الجماعة له ومنهم الشيخان، خاص بما رواه قبل تغيره، فهذا عذر من طعن في روايته لهذا الحديث الذي أنكروا متنه بما علمت، والأمر فيه أهون مما قالوا، فالتحقيق أنه خاص بمسألة الزوجية كما جاء في التصريح به في الرواية الثانية كما تقدم، ولا يعقد بغير هذا). اهـ

من يقبل منه الجرح والتعديل

قال الله سبحانه وتعالى: {ياأيّها الّذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين[1]}.

وقال سبحانه وتعالى: {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم[2]}.

وقال سبحانه وتعالى: {أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثمّ يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون[3]}.

وقال سبحانه وتعالى: { ياأيّها الّذين ءامنوا إنّ كثيرًا من الأحبار والرّهبان ليأكلون أموال النّاس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله[4]}.

وقال سبحانه وتعالى: { فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلاّ الحقّ ودرسوا ما فيه والدّار الآخرة خير للّذين يتّقون أفلا تعقلون[5]}.

---

1 سورة الحجرات، الآية: 6.

2 سورة النساء، الآية: 83.

3 سورة البقرة، الآية: 75.

4 سورة التوبة، الآية: 24.

5 سورة الأعراف، الآية: 169.

وقال تعالى: {واتل عليهم نبأ الّذي ءاتيناه ءاياتنا فانسـلخ منها فأتبعه الشّـيطان فكـان من الغـاوين ولو شـئنا لرفعنـاه بها ولكنّه أخلد إلى الأرض واتّبع هـــواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القـوم الّـذين كـذّبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلّهم يتفكّرون[1]}.

وقال تعالى: {مثل الّـذين حمّلـوا التّـوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا بئس مثل القوم الّذين كذّبوا بآيــات الله والله لا يهدي القوم الظّالمين[2]}.

وفى "مسـند الإمـام أحمـد" بـرقم (143) بتحقيق أحمد شـاكر من حـديث عمر، والبزاركما في "كشف الأسـتار" (ج1 ص97) من حديث عمران بن حصين رضـي الله عنهما قـالا: قـال رسـول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إنّ أخْوف ما أخـاف على أمّـتي كلّ منافق عليم اللّسان))، أو بهذا المعنى.

وقـــال اللكنـــوى رحمه الله فى "الرفع والتكميـــل" ص(52): إيقاظ: في شرط الجارح والمعدل.

يشترط في الجارح والمعدل: العلم والتقوى والـورع والصـدق والتجنب عن التعصب ومعرفة أسـباب الجـرح والتزكية، ومن ليس كذلك لا يقبل منه الجرح ولا التزكية.

قال التـاج السـبكي: من لا يكـون عالمًـا بأسـبابهما -أي الجـرح

---

1 سورة الأعراف، الآية: 176.

2 سورة الجمعة، الآية: 5.

والتعديل- لا يقبلان منه لا بإطلاق ولا بتقييد. انتهى.

وقال البـدر بن جماعة: من لا يكـون عالمًـا بالأسـباب، لا يقبل منه جرح ولا تعديل لا بإطلاق ولا بالتقييد. انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر فى "شرح نخبتـه": إن صـدر الجرح من غـير عـارف بأسـبابه لم يعتـبر به. وقـال أيضـًا: تقبل التزكية من عارف بأسبابها لا من غير عارف، وينبغى أن لا يقبل الجرح إلا من عدل متيّقظ. انتهى.

وقال الذهبى فى ترجمة (أبي بكر الصديق) من كتابه "تـذكرة الحفاظ": حق على المحدث أن يتورع فيما يؤديه وأن يسـأل أهل المعرفة والـورع ليعينـوه على إيضـاح مروياته، ولا سـبيل الى أن يصير العارف الذى يزكي نقلة الأخبار ويجـرحهم جهبـذًا إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسـهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصـاف والـتردد إلى العلمـاء والإتقان وإلا تفعل:

فدع عنك الكتابة لست منها ولوسودت وجهك بالمداد

فإن آنست من نفسك فهمًا وصدقًا وديناً وورعًا، وإلا فلا تفعل، وإن غلب عليك الهـوى والعصـبية لـرأي ولمـذهب، فبالله لا تتعب، وإن عــرفت أنك مخلّــط مخبّــط مهمل لحدود الله فأرحنا منــك. انتهى.

وقـال الحافظ الذهبي فى ترجمة علي بن عبدالله بن المديني (ج3 ص140) ردًا على العقيلي حيث ذكر ابن المـــــــــديني فى

"الضعفاء" وقد بدت منه هفوة (يعني القول بخلق القرآن) ثم قال الإمام الذهبي: وهذا أبوعبدالله البخاري وناهيك به، وقد شحن "صحيحه" بحديث علي بن المديني، وقال: ما استصغرت نفسي بين يدي أحد إلا بين يدي علي بن المديني، ولو تركت[1] حديث علي وصاحبه محمد، وشيخه عبدالرزاق، وعثمان بن أبى شيبة، وإبراهيم بن سعد، وعفان، وأبان العطار، وإسرائيل، وأزهر السمان، وبهز ابن أسد، وثابت البناني، وجرير بن عبدالحميد، لغلقنا الباب وانقطع الخطاب، ولماتت الآثار، واستولت الزنادقة، ولخرج الدجال، أفما لك عقل ياعقيلي، أتدرى فيمن تتكلم وإنما تبعناك فى ذكر هذا النمط لنذب عنهم ولنزيّف ما قيل فيهم: كأنك لا تدري أن كل واحد من هؤلاء أوثق منك بطبقات، بل وأوثق من ثقات كثيرين لم توردهم فى كتابك، فهذا مما لا يرتاب فيه محدث، وأنا أشتهي أن تعرفني من هو الثقة الثبت الذى ما غلط ولا انفرد بما لا يتابع عليه، بل الثقة الحافظ إذا انفرد بأحاديث كان أرفع له وأكمل لرتبته، وأدل على اعتنائه بعلم الأثر وضبطه دون أقرانه لأشياء ما عرفوها، اللهم إلا أن يتبين غلطه ووهمه فى الشيء، فيعرف ذلك، فانظر أول شيء إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلمالكبار والصغار ما فيهم أحد إلا وقد انفرد بسنة، فيقال له: هذا الحديث لا يتابع عليه، وكذلك التابعون كل واحد عنده ما ليس عند الآخر من العلم، وما

---

1 كذا، والظاهر: ولو ترك.

الغرض هذا، فإن هذا مقرر على ما ينبغي فى علم الحديث، وإن تفـرد الثقة المتقن يعد صـحيحًا غريبًـا، وإن تفـرد الصـدوق ومن دونه يعد منكرًا، وإن إكثــار الــراوي من الأحــاديث التي لا يوافق عليها لفظًا أو إسنادًا يصيّره متروك الحــديث، ثم كل أحد فيه بدعة أو له هفـوة أو ذنـوب يقـدح فيه بما يـوهن حديثه، ولا من شـرط الثقة أن يكـون معصـومًا من الخطايا والخطأ، ولكن فائـدة ذكْرنا كثيرًا من الثقات الذين فيهم أدنى بدعة، أو لهم أوهام يسـيرة فى ســـعة علمهم، أن يعـــرف أن غـــيرهم أرجح منهم وأوثق إذا عارضهم أو خالفهم، فزن الأشياء بالعدل والورع.

وأما علي بن المــدينى فإليه المنتهى فى معرفة علل الحــديث النبوي مع كمال المعرفة بنقد الرجـال وسـعة الحفظ والتبحر في هذا الشأن، بل لعله فرد زمانه في معناه. وقد أدرك حماد بن زيد وصنف التصانيف وهو تلميذ يحيى ابن سعيد القطان، ويقال: لابن المديني نحو مائتي مصنف. اهـ

وقـــال الإمـــام الـــذهبي رحمه الله فى ترجمـــة موسى بن إسماعيل أبوسلمة التبوذكي المنقري: قلت: لم أذكر أبا سلمة للين فيه، ولكن لقول ابن خراش فيه: صدوق وتكلّم الناس فيـه. قلت: نعم تكلموا فيه بأنه ثقة ثبت يارافضي. اهـ

وقــال الحافظ الــذهبي أيضـًا فى ترجمة أبــان بن إســحاق المدني: قـال ابن معين وغـيره: ليس به بـأس، وقـال أبـوالفتح الأزدي: متروك. قلت: لا يترك فقد وثقه أحمد والعجلي، وأبوالفتح

يسـرف فى الجـرح وله مصـنف كبـير إلى الغاية فى المجـروحين جمع فأوعى، وجرح خلقًا بنفسه لم يسـبقه أحد إلى التكلّم فيهم، وهو المتكلم فيه وسأذكره في المحمدين. اهـ

وهكذا التصحيح والتضعيف لا يقبلان إلا ممن توفّرت فيه هـذه الشـروط التي ذكرها الإمـام الـذهبي واللكنوي، وزيـادة معرفة المصـطلح، ومن أهمه معرفة المعل والشـاذ، وهكـذا أيضـًا علم الرجال، وينبغى أن يعلم المصـحح والمضعف أنه إذا لم يتحرّ فهو بتصـحيح الموضـوع وما لا أصل له يـدخل في شـرع الله ما ليس منه، وبتضعيفه الصحيح بالهوى يبطل شرع الله، وكلا الأمـرين من أكبر الكبائر، قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حـرام لتفْـتروا على الله الكذب[1]}.

وقال سبحانه وتعالى: { قل إنّما حـرّم ربّي الفـواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغـير الحـقّ وأن تشـركوا بالله ما لم ينزّل به سلطانًا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون[2]}.

وقـال سـبحانه وتعـالى: {فلا وربّك لا يؤمنـون حتّى يحكّمـوك فيما شـجر بينهم ثمّ لا يجـدوا في أنفسـهم حرجًا ممّا قضـيت ويسـلّموا تسليمًا[3]}.

---

1 سورة النحل، الآية: 116.

2 سورة الأعراف، الآية: 33.

3 سورة النساء، الآية: 65.

ومن علامة أصحاب الأهواء وأصحاب البدع، أنّهم يصحّحون الحديث إذا كان موافقًا لأهوائهم، ويضعفونه إذا كان مخالفًا لأهوائهم، وقد قرأت كثيرًا في كتب الشيعة وفي "كشاف" الزمخشري فوجدت هذا بخلاف أهل السنة، فإنّهم يحكمون على الحديث بما تقتضيه الصناعة الحديثية، فرب حديث يكون مندرجًا تحت أصل ولا يمنعهم هذا من أن من يحكموا على الحديث بأنه ضعيف أو موضوع، وربّ راو يكون رأسًا في السنة فلا يمنعهم هذا من القول بتضعيفه إذا كان ضعيفًا، فرحمهم الله وجزاهم الله خيرًا على نصحهم وإنصافهم واتباعهم الحق أينما وجدوه.

بعض أدلة الجرح والتعديل

الناس يستغربون في هذا الزمن إذا رأوا في كتبنا انتقاد بعض أهل العلم، ذلك لأنّهم جهلوا فنًا عظيمًا ألا وهو علم الجرح والتعديل الذي قام به علماؤنا الأقدمون رحمهم الله، المتبعون لكتاب ربّهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والجرح هو الذي يستغربون، وأما التعديل عندهم فليس له حد، يطلقون تلك الألقاب الضخمة التي ما كان سلفنا رحمهم الله يطلقونها, وأنا ذاكر لك بعض أدلة الجرح لأنه المستنكر عندهم كما قال تعالى: {بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه[1]}، وقال تعالى: {وإذ لم يهتدوا به

---

1 سورة يونس، الآية: 39.

فسيقولون هذا إفك قديم[1]}.

وأنا أسـألك أيها المعـترض، أعلي الطنطـاوي خـير أم أبوحـاتم الرازي؟ والجواب معـروف، أن أباحـاتم الـرازي إمـام متفق على جلالتــه، إمــام من أئمة الجــرح والتعــديل، وعلي الطنطــاوي لا يســاوي كلامه فلسًــا، بل لا يســاوي هو بعـرةً، عرفته بـالحرم المكي، وهو فاسق حـالق اللحية لا يتقيّـد بـدليل، لا أكـثر الله في علماء المسلمين من أمثاله.

وهكــذا لابد لأهل الســنة من أن يتميّــزوا من هــذا المجتمع الجاهلي، ولست أعني أنه كـافر، ولكن لابد لهم من بيـان أحـوال الفسقة الـذين يلبسـون الحق بالباطل، ويفتن بهم المجتمع فيظن أنّهم من أهل العلم، وهم مفتونــون فــاتنون، وإليك بعض الأدلة على جواز جرح من يستحق الجرح:

1- عن أنس رضى الله عنه عن النبيصــلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ((إنّ الله حجب التّوبة عن كلّ صاحب بدعة حتّى يـدع بدعته)). رواه ابن أبي عاصم.

في هذا الحديث جرح أصحاب البدع.

2- عن سلمة بن عمرو بن الأكوع رضــي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بشماله فقـال: ((كـلْ بيمينك)) قال: لا أسْتطيع. قال: ((لا اسـتطعت ما منعه إلاّ الكـبر)) قال: فما رفعها إلى فيه. رواه مسلم.

---

1 سورة الأحقاف، الآية: 11.

3- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قضى في امرأتين من هذيل اقتتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فأصاب بطنها وهي حامل، فقتلت ولدها الّذي في بطنها، فاختصموا إلى النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقضى أنّ دية ما في بطنها غرّة عبد أو أمة، فقال وليّ المرأة الّتي غرمت: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهلّ، فمثل ذلك يطلّ، فقال النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إنّما هذا من إخوان الكهّان)). متفق عليه. زاد مسلم: من أجْل سجعه الّذى سجع.

4- عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنّ امرأةً قتلت ضرّتها بعمود فسطاط، فأتي فيه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقضى على عاقلتها بالدّية وكانت حاملاً، فقضى في الجنين بغرّة، فقال بعض عصبتها: أندي من لا طعم ولا شرب ولا صاح فاستهلّ، ومثل ذلك يطلّ، قال: فقال: سجع كسجع الأعراب)). رواه مسلم.

5- عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال في مرضه: ((مروا أبا بكر فليصلّ بالنّاس))، قالت عائشة: فقلت: إنّ أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع النّاس من البكاء، فمر عمر فليصلّ بالنّاس، فقال: ((مروا أبا بكر فليصلّ بالنّاس))، فقالت عائشة: فقلت لحفصة: قولي له إنّ أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع النّاس من البكاء، فمر عمر

فليصلّ بالنّاس، ففعلت حفصة، فقـال رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم: ((إنّكنّ لانتنّ صـواحب يوسـف، مـروا أبا بكر فليصلّ بالنّاس)) فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيراً. متفق عليه.

6- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيـوت أزواج النّبيّ صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم يسـألون عن عبـادة النّبيّ صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم فلمّا أخـبروا كـأنّهم تقالّوهـا، فقـالوا: وأين نحن من النّـبيّ صـلى الله عليه وعلى آله وسلم قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قـال أحـدهم: أمّا أنا فأصلّي اللّيل أبدًا. وقال الآخر: وأنا أصوم الدّهر ولا أفطـر. وقـال الآخر: وأنا أعتزل النّساء فلا أتـزوّج أبـدًا. فجـاء رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم فقـال: ((أنتم الّـذين قلتم كـذا وكـذا، أما والله إنّي لاخشاكم لله وأتقاكم لـه، لكنّي أصـوم وأفطـر، وأصـلّي وأرقد، وأتزوّج النّسـاء فمن رغب عن سـنّتي فليس منّي)). متفق عليه.

7- عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((هلك المتنطّعون)). قالها ثلاثًا. رواه مسلم.

في "النهاية" في مـادة (نطع): هم المتعمّقـون المغـالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم، مـأخوذ من النطع، وهو الغـار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولاً وفعلاً. اهـ

في هـذه الأحـاديث جـرح لمن تـرك السـنن وأقبل على البـدع

والأهواء.

8- عن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذرّ بالرّبذة وعليه حلّة وعلى غلامه حلّة، فسألته عن ذلك فقال: إنّي سابت رجلاً فعيّرته بأمّه، فقال لي النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((يا أبا ذرّ أعيّرته بأمّه، إنّك امرؤ فيك جاهليّة، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممّا يأكل، وليلبسه ممّا يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم، فإن كلّفتموهم فأعينوهم)) . متفق عليه.

9- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يصلّي مع النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثمّ يأتي قومه فيصلّي بهم الصّلاة، فقرأ بهم البقرة، قال: فتجوّز رجل فصلّى صلاةً خفيفةً، فبلغ ذلك معاذًا، فقال: إنّه منافق، فبلغ ذلك الرّجل، فأتى النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: يا رسول الله إنّا قوم نعمل بأيدينا، ونسقي نواضحنا، وإنّ معاذًا صلّى بنا البارحة فقرأ الْبقرة، فتجوّزت، فزعم أنّي منافق، فقال النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((يا معاذ أفتّان أنت؟ ثلاثًا، اقرأ: {والشّمْس وضحاها} و{سبّح اسم ربّك الأعلى}، ونحوها)). متفق عليه.

وهذا فى حق هذين الصحابيّين الجليلين ومن شابههما المراد به الأدب لا التجريح، وإنما ذكرنا هذا ليدل على جواز إطلاق مثل هذا على من يحتاج إلى تأديب.

10- وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنّ رجلاً خطب عند

النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله)). رواه مسلم.

11- وعن بريدة رضي الله عنه أنّ رجلاً نشد في المسجد فقال: ((من دعا إلى الجمل الأحمر فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((لا وجدْت، إنّما بنيت المساجد لما بنيتْ له)). رواه مسلم.

12- وعن جابر رضى الله عنه أنّ عبْدًا لحاطب جاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يشْكو حاطبًا، فقال: يارسول الله ليدخلنّ حاطب النّار، فقال رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((كذبت لا يدخلها، فإنّه شهد بدْرًا والحديبية)). رواه مسلم.

13- عن أنس رضي الله عنه قال: مرّوا بجنازة فأثْنوا عليها خيرًا، فقال النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((وجبتْ)) ثمّ مرّوا بأخرى فأثْنوا عليها شرًّا، فقال: ((وجبتْ)) فقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: ما وجبتْ؟ قال: ((هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنّة، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النّار، أنتم شهداء الله في الأرض)). متفق عليه.

14- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاءني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعودني عام حجّة الوداع من وجع اشتدّ بي، فقلت: إنّي قد بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدّق بثلثي مالي؟

قــال: ((لا)) فقلت: فالشّــطر يا رســول الله؟ فقــال: ((لا)) قلت: فالثلث يا رسول الله؟ قال: ((الثّلث، والثّلث كثير أو كبير، إنّك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالةً يتكفّفـون النّـاس، وإنّك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليهــا، حتّى ما تجعل في في امرأتك)) فقلت: يا رســول الله أخلّف بعد أصــحابي؟ قــال: ((إنّك لن تخلّف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجــةً ورفعــةً، ولعلّك أن تخلّف حتّى ينتفع بك أقــوام ويضــرّ بك آخرون، اللهمّ أمض لأصحابي هجرتهم ولا تـردّهم على أعقـابهم لكن البائس سعد بن خولة)) يـرثي له رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم أن مات بمكّة. متفق عليه.

15- وعن أبي هريــرة رضي الله عنه أن النــبي صــلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: قال له في شأن الشّيطان: ((أما إنّه قد صدقك وهو كذوب)). رواه البخاري.

16- وعن أبي هريــرة رضي الله عنه أن النــبي صــلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ((لا تقوم السّـاعة حتّى يبعث دجّـالون كـذّابون قــريب من ثلاثين كلّهم يــزعم أنّه رســول الله)). متفق عليه واللفظ لمسلم.

17- وعن جابر بن سمرة قال: سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم يقـول: ((إنّ بيْن يدي السّـاعة كذّابين)). رواه مسلم.

ففي هذه الأدلة دليل على الجرح، وأما أدلة التعديل فـأكثر من

أن تحصى ولم ينـــازع فيها العصـــربون فلم نوردها، وإن كـــان إيرادها يقـــوى أدلة الجـــرح ويثبتها على أن أدلة الجـــرح كافيـــة. والحمد لله.

وقد ذكـــرت جملة من أدلة الجـــرح والتعـــديل في "الجـــامع الصـــحيح مما ليس في الصـــحيحين" ، وفي "نشر الصـــحيفة في كلام أئمة الجرح والتعديل في أبي حنيفة".

الإنكار على من رد السّنن بالرأي والاستحسان

قال الله سبحانه: {فـإن لم يسـتجيبوا لك فـاعلم أنّما يتّـبعون أهواءهم[1]} وقد ذكـرت في "شـرعية الصـلاة بالنعـال" جملة من هذا، فأنا أنقلها هنا لمناسبتها أيضًا هنا وأزيد مايسر الله.

الحديث الأول:

عن أبي هريـرة رضـي الله عنه أن رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم قضى في امـرأتين من هـذيل اقتتلتـا، فـرمت إحداهما الأخـرى بحجر فأصـاب بطنها وهي حامل فقتلت ولـدها الّـذي في بطنهـا، فاختصـموا إلى النّـبيّ صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم فقضى أنّ دية ما في بطنها غـرّة، عبد أو أمـة، فقـال وليّ المرأة الّتي غرمت: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكـل، ولا نطق ولا استهلّ، فمثل ذلك يطلّ، فقـال النّـبيّ صـلى الله عليه

1 سورة القصص، الآية: 50.

وعلى آله وسلم: ((إنّما هذا من إخوان الكهّان)).

رواه البخاري: (ج12 ص328). ومسلم: (ج11 ص177)، وفيه زيادة قوله: ((إنّما هذا من إخوان الكهّـان من أجل سـجعه الّـذي سجع)).

وأخرجه أبوداود: (ج4 ص318). والنسائي: (ج8 ص43). وابن ماجة: (ج2 ص882).

الحديث الثاني:

عن المغـيرة بن شـعبة رضي الله عنه: أنّ امـرأةً قتلت ضـرّتها بعمـود فسـطاط، فـأتي فيه رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم، فقضى على عاقلتها بالدّيـة، وكـانت حـاملاً، فقضى في الجنين بغرّة، فقـال بعض عصـبتها: أنـدي من لا طعم ولا شـرب، ولا صاح فاستهلّ، ومثل ذلك يطـلّ، قـال: فقـال: ((سـجع كسـجع الأعراب)).

رواه مسلم (ج11 ص179). والنسائي (ج8 ص44).

فأنت ترى أن رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم أنكر عليه معارضته لحديثه برأيه وقال: ((إنّما هذا من إخوان الكهّان)). من أجل سجعه.

الحديث الثالث:

عن عبدالله بن أبي مليكة قال: كـاد الخيّـران أن يهلكـا، أبـوبكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصـواتهما عند النّـبيّ صـلى الله عليه وعلى آله وسلم حين قـدم عليه ركب بـني تميم، فأشـار أحـدهما بـالأقرع بن حـابس أخي بـني مجاشـع، وأشـار الآخر برجل آخر -

قال نافع: لا أحفظ اسمه- فقال أبوبكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله سبحانه:{يا أيّها الّذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم} الآية. قال ابن الزّبير: فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد هذه الآية حتّى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه - يعني- أبا بكر.

أخرجه البخاري (ج10 ص212،214) وفيه رواية ابن أبي مليكة عن عبدالله بن الزبير (ج17 ص39). وأخرجه الترمذي (ج4 ص185) وعنده تصريح عبدالله بن أبي مليكة أن عبدالله بن الزبير حدثه به، وأحمد (ج4 ص6)، والطبري (ج26 ص119) وفيه قول نافع: حدثني ابن أبي مليكة عن ابن الزبير، فعلم اتصال الحديث كما أشار إليه الحافظ في "الفتح" (ج10 ص212).

الحديث الرابع:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال في مرضه: ((مروا أبابكْر فيصلّ بالنّاس)) قالت عائشة: فقلت: إنّ أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع النّاس من البكاء، فمر عمر فليصلّ. فقال: ((مروا أبابكر فلْيصلّ بالنّاس)) قالت عائشة: فقلت لحفْصة: قولي: إنّ أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع النّاس من البكاء، فمر عمر فليصلّ بالنّاس، ففعلت حفصة، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إنّكنّ لأنتنّ صواحب يوسف، مروا أبابكر فليصلّ بالنّاس)) قالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرًا.

رواه البخاري (ج17 ص39). ومسلم (ج5 ص140،141).

الحديث الخامس:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسـول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقـول: ((إنّ الله لا ينْـزع العلم بعد أن أعطـــاكموه انتزاعًـــا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلمـــاء بعلمهم، فيبقى نـاس جهّـال يسـتفتون فيفتـون بـرأيهم، فيضـلّون ويضلّون)).

رواه البخاري (ج17 ص45) ومسلم واللفظ للبخاري.

الحديث السادس:

قـال مسـلم رحمه الله (ج3 ص1599): حـدثنا أبـوبكر بن أبي شيبة حدثنا زيد بن الحباب عن عكرمة بن عمار حـدثني إيـاس بن سلمة بن الأكوع أنّ أباه حدّثه أنّ رجلاً أكل عند رسول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم بشـماله، فقـال: ((كـل بيمينك)) قـال: لا أستطيع. قال: ((لا استطعت))، ما منعه إلا الكبر، قـال: فما رفعها إلى فيه.

الحديث السابع:

قال البخاري رحمه الله (ج10 ص121): حـدثنا إسـحاق حـدثنا خالد ابن عبدالله عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهمـا: أنّ رســـول الله صـــلى الله عليه وعلى آله وســـلم دخل على رجل يعوده، فقال: ((لا بـأس طهـور إن شـاء الله)) فقـال: كلا بل هي حمّى تفور، على شيخ كبير، حتى تزيره القبـور. قـال النّـبيّ صـلى

الله عليه وعلى آله وسلم: ((فنعم إذًا)).

آثار عن السلف

وأما الاثار عن السلف رحمهم الله، فـأكثر من أن تحصر، ولكن أشير إلى بعضها:

الأثر الأول:

عن علي رضي الله عنه أنه قـال: لو كـان الـدّين بـالرّأي لكـان أسفل الخفّ أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم يمسح على ظاهر خفّيه.

رواه أبوداود (ج1 ص63) ورجـاله رجـال الصحيح، إلا عبدخير، وهو ثقة كما في "التقريب".

وقـال الحافظ ابن حجر في "بلـوغ المـرام": إنّ سـنده حسن، وقال في "التلخيص": رواه أبوداود وإسناده صحيح.

الأثر الثاني:

الحديث عن عبدالله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسـلم يقـول: ((لا تمنعـوا نسـاءكم المسـاجد إذا اسـتأذنّكم)) قـال: فقـال بلال بن عبدالله: والله لنمنعهنّ، قـال: فأقبل عليه عبدالله فسبّه سبًّا سـيّئًا ما سـمعته سـبّه مثلـه، وقـال: أخبرك عن رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم، وتقـول: والله لنمنعهنّ.

رواه مسلم (ج4 ص161). وفي "جامع بيان العلم وفضله" (ج 2 ص139) للحافظ ابن عبد البر أنه قال له: لعنك الله، لعنك الله. أقـول: رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم أمر أن لا

يمنعن، وقام مغضبًا.

الأثر الثالث:

عن عبدالله بن المغفل أنّه رأى رجلاً يخـــذف فقـــال لـــه: لا تخذف، فإنّ رسول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم نهى عن الخذف، أو كان يكـره الخـذف، وقـال: ((إنّه لا يصـاد به صـيد، ولا ينكى به عـدوّ، ولكنّها قد تكسر السّـنّ وتفقأ العين))، ثمّ رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: أحدّثك عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنّه ينهى عن الخذف، وأنت تخذف، لا أكلّمك كذا وكذا.

رواه البخـــاري (ج12 ص26). ومســـلم (ج13 ص105،106) وفيه: لا أكلمك أبدًا.

الأثر الرابع:

عن أبي قتادة تميم بن نذير العدوي أنّـه قـال: كنّا عند عمـران بن حصين في رهـط، وفينا بشـير بن كعب فحـدّث عمـران يومئذ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((الحياء خير كلّه)) فقـــال بشـــير بن كعب: إنّا لنجد في بعض الكتب: أنّ منه سكينةً ووقارًا ومنه ضـعف. فغضب عمـران حتّى احمـرّت عينـاه، وقـال: ألا أراني أحـدّثك عن رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم وتعارض فيه، قـال: فأعـاد عمـران الحـديث، قـال: فأعـاد بشير، فغضب عمران، قال: فما زلنا نقول فيه: إنّه منّا يا أبا نجيـد، إنّه لا بأس به.

رواه مسلم (ج2 ص7) وأحمد (ج4 ص427،436،440، 442، 445)، والطيالسي (ج2 ص41).

الأثر الخامس:

عن ابن أبي مليكة أن عروة بن الزبير قال لابن عباس: أضللت النـاس، قـال: وما ذاك يا عريّة؟ قـال: تـأمر بـالعمرة في هـؤلاء العشر وليستْ فيهنّ عمرة فقال: أولا تسأل أمّك عن ذلك ؟ فقال عـروة: فـإنّ أبـابكر وعمر لم يفعلا ذلك، فقـال ابن عبّـاس: هـذا الّـذي أهلككم والله ما أرى إلاّ سـيعذّبكم، إنّي أحدّثكم عن النّـبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتجيئوني بأبي بكر وعمر...

رواه أحمد (ج1 ص337). وإســـحاق بن راهويه كمـــا في "المطالب العالية" (ج1 ص360) وفيه : نجيئكم برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتجيئوني بأبي بكر وعمر؟.

والخطيب في "الفقيه والمتفقه" (ج1 ص 145)، والسـياق له، وابن حزم في "حجـة الوداع" ص(268، 269) من طرق إلى ابن عباس. وابن عبدالبر في "جامع بيان العلم وفضله" (ج2 ص،239 240).

الأثر السادس:

قـال الخطيب في "الفقيه والمتفقـه" (ج1 ص150): أنا محمد بن أحمد بن رزق أنا عثمـــان بن أحمد الـــدقاق أنا محمد بن إسماعيل الـرقي أنا الربيع بن سـليمان قـال: سـمعت الشّـافعي وسأله رجل عن مسألة فقال: يروى فيها كذا وكذا عن النّبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال له السّـائل: يا أبا عبدالله ما تقـول فيه؟ فـرأيت الشّـافعي أرعد وانتفض، فقـال: ما هـذا، أيّ أرض تقلّـــني وأيّ ســـماء تظلني؟ إذا رويت عن النبي صـــلى الله عليه

وعلى آله وسلم حديثًا فلم أقلْ به، نعم على السّمع والبصر، نعم على السّمع والبصر.

وقال: أنا الربيع قال: سمعت الشّافعي وقد روى حـديثًا وقـال له بعض من حضر: تأخذ بهذا ؟ فقـال: إذا رويت عن النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسلم حديثًا صحيحًا فلم آخذْ به، فأنا أشـهدكم أنّ عقلي قد ذهب، ومدّ يديه.

وأخرج الأثـرين: الحافظ الـبيهقي في "منـاقب الشـافعي" (ج1 ص474،475)، وأبونعيم في "الحلية" (ج9 ص106).

الأثر السابع:

قـال الإمـام محمد بن إسـحاق بن خزيمة رحمـه الله في "التـوحيـد" ص (113): حدثنا الحسن بن محمد الزعفـراني وعلي بن الحسين ويحيى بن حكيم قالوا ثنا معاذ بن معاذ العنبري قـال ثنا حمـاد بن سـلمة عن ثـابت عن أنس بن مالك عن النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسلم في قوله: { فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعلـه دكًّا} قـال بأصـبعه هكـذا: وأشـار بالخنصر من الظفر يمسـكه بالإبهـام، قـال: فقـال حميد لثـابت: يا أبا محمد دع هـذا، ما تريد؟ قال: فضرب ثابت منكب حميد وقـال: ومن أنت يا حميد؟ وما أنت يا حميد؟ حدثني به أنس بن مالك عن رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتقول أنت: دع هذا.

هذا لفظه.

حـدثنا يحـيى بن حكيم والزعفـراني وعلي بن الحسـين عن معاذ[1] بن معاذ عن حماد بن سلمة.

قـال علي ثنا ثـابت البناني عن أنس عن النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وقـال الزعفـراني: عن ثـابت البناني عن أنس عن رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم في قولـه:{فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكًّا} قال: هكـذا، ووصف معـاذ أنه أخـرج أول المفصل من خنصـره فقـال له حميد: يا أبا محمد ما تريد إلى هـذا؟ فضـرب صدره ضربةً شديدةً وقال: فمن أنت؟ ما تريد إلى هذا؟.

غـير أن الزعفـراني قـال هكـذا: ووضع إبْهامه اليسـرى على طرف خنصره الأيسر على العقد الأول.

حدثنا عبدالوارث بن عبدالصمد قال ثنا أبي ثنا حمـاد بن سـلمة قال ثنا ثـابت عن أنس بن مالـك قـال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم: ((لمّـا تجلّى ربّـه للجبـل)) رفع خنصـره وقبض على مفصل منها ((فانساخ الجبل)) فقال له حميد: أتحدث بهذا؟ فقال: حدثنا أنس عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتقول: لا تحدث به.

هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

الأثر الثامن:

---

1 سـقط من الأصل: معـاذ، لأن هـؤلاء لا يـروون عن حمـاد مباشـرة، وقوله: ووصف معاذ إلى آخره، يدل على ذلك.

قـال الترمذي رحمه الله (ج3 ص648): حـدثنا أبـوكريب أخبرنا وكيع عن هشام الدستوائي عن قتادة عن أبي حسان الأعرج عن ابن عبـاس أنّ النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم قلّد نعلين وأشعر الهدي في الشّقّ الأيمن بذي الحليفة، وأماط عنه الدّم.

قـال: وفي البـاب عن المسـور بن مخرمـة، قـال أبوعيسـى: حديث ابن عبّاس حديث حسن صحيح، وأبوحسّان الأعـرج اسـمه مسلم، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النّبيّ صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم وغـيرهم يـرون الإشـعار، وهو قـول الثّوريّ والشّافعيّ وأحمد وإسحق.

قـال: سـمعت يوسف بن عيسى يقـول: سـمعت وكيعًا يقـول حين روى هذا الحديث قـال: لا تنظـروا إلى قـول أهل الـرّأي في هذا، فإنّ الإشعار سنّة وقولهم بدعة، قـال: وسـمعت أبا السّـائب يقول: كنّا عند وكيع فقال لرجل عنده ممّن ينظر في الرّأي: أشعر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسـلم ويقـول أبوحنيفـة: هو مثلـة. قـال الرّجل فإنّه قد روي عن إبـراهيم النّخعيّ أنّه قـال: الإشعار مثلة. قال: فرأيت وكيعًا غضب غضبًا شديدًا، وقال: أقـول لك قال رسول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم وتقـول: قـال إبـراهيم: ما أحقّك بـأن تحبس ثمّ لا تخـرج حتّى تنْـزع عن قولك هذا.

الأثر التاسع:

قال الدارمي رحمه الله (ج1 ص118): أخبرنا سليمان بن حرب

ثنا حمـاد بن سـلمة عن يعلى بن حكيم عن سـعيد بن جبـير أنّه حدّث يومًا بحديث عن النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقـال رجـل: في كتـاب الله ما يخـالف هـذا، قـال: ألا أراني أحـدّثك عن رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم وتعـرّض فيه بكتـاب الله، كان رسول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم أعلم بكتـاب الله منك.

هذا الأثر صحيح.

الأثر العاشر:

قال الإمـام الآجري رحمه الله في "الشـريعة" ص(56): حـدثنا أيضًا الفريابي حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا معن بن عيسى قـال: انصـرف مالك بن أنس رضي الله عنه يومًـا من المسـجد وهو متكئ على يدي، فلحقه رجل يقـال له: أبوالحورية كان يتّهم بالإرجـاء، فقـال: ياعبدالله اسمع منّي شـيئًا أكلمك به وأحاجك به وأخـبرك بـرأي، قـال: فـإنْ غلبتني؟ قـال: إن غلبتك اتبعتني. قـال: فـإن جـاء رجل آخر فكلّمنا فغلبنا؟ قـال: نتّبعه. فقـال مالك رحمه الله: يا عبدالله بعث الله عزّ وجلّ محمّـدًا صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم بـدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين، قـال عمر بن عبـدالعزيز: من جعل دينه غرضًـا للخصـومات أكثر التّنقل.

أثر مالك صـحيح، وما ذكـره عن عمر بن عبـدالعزيز، منقطع، لكن الآجري رحمه الله قد رواه قبل هـذا الأثر بالسـند الصـحيح،

فقال: وحدثنا الفريابي قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال: إن عمر بن عبدالعزيز قال: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل.

وقال الإمام أبوبكر الخطيب رحمه الله في "شرف أصحاب الحديث" ص(5): أخبرنا أبوسعيد محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان الصيرفي بنيسابور، قال حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب الأصم قال حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني قال حدثنا إسحاق بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين، ويقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أرادنا أن نردّ ما جاء به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

هذا الأثر صحيح.

وقال الإمام أبوعمر بن عبدالبر رحمه الله في "جامع بيان العلم وفضله" (ج2 ص176): وذكر الطبري في كتاب "تهذيب الآثار" له حدثنا الحسن ابن الصباح البزار قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الحنيني قال: قال مالك: قبض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقد تمّ هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن نتّبع آثار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا يتبع الرأي، فإنه متى اتّبع الرأي جاء رجل آخر أقوى في الرأي منك، فاتبعته فأنت كلما جاء رجل عليك اتبعته، أرى هذا لا يتم.

الأثر ضعيف جدًا بهذا السند، إسحاق بن إبراهيم الحنيني الجرح فيه مفسّر، قال النسائي: ليس بثقة، وقال البخاري: فيه نظر، لكن الأثر ثابت بالطريقين المتقدمين، والله أعلم.

الأثر الحادي عشر:

قـال عبدالله بن أحمد في كتـاب "السـنة" ص(38): حـدثني إسحاق بن بهلـول الأنبـاري سـمعت وكيعًـا يقـول: من رد حـديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن جرير عن النبي صـــلى الله عليه وعلى آله وسلم في الرؤية فاحسبوه من الجهميّة.

وأخرجه البخـاري في "خلق أفعـال العبـاد" معلقًـا ص(18): وفيه: فهو جهمي فاحذروه. وإسحاق بن بهلول شـيخ عبدالله بن أحمد ترجمه الخطيب في "التـاريخ" (ج6 ص366) وقـال: كـان ثقةً، ونقل عن ابن أبي حاتم أنه سأل أباه عنه فقال: صدوق.

الأثر الثاني عشر:

قـال الإمـام الآجري رحمه الله في "الشـريعة" ص(227): وأخبرنا الفريـابي قـال سمعت أبا حفص عمـرو بن علي قـال سمعت معاذ بن معاذ وذكر قصة عمرو بن عبيد إن كانت {تبّت يدا أبي لهب} في اللوح المحفوظ فما على أبي لهب من لوم.

قال أبوحفص: فذكرته لوكيع بن الجراح، فقال: من قـال بهـذا، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

هذا الأثر صحيح.

الأثر الثالث عشر:

قـال الآجري رحمه الله في "الشـريعة": حـدثنا الفريابي قـال حدثنا العباس ابن الوليد بن مزيد قـال أخـبرني أبي قـال سـمعت الأوزاعي يقول: عليك بآثـار من سـلف وإن رفضك النـاس وإيـاك

وآراء الرّجال، وإن تزخرفوا لك بالقول.

هذا الأثر صحيح.

الأثر الرابع عشر:

إنكـار ابن أبي شـيبة على أبي حنيفة في رده بعض الأحـاديث بالرأي، فقد عقد في "مصنفه" (ج14 ص148) كتابًـا فقـال رحمه الله: "كتاب الرد على أبي حنيفة":

هذا ما خالف به أبوحنيفة الأثر الذي جاء عن رسول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم، ثم ذكر إلى ص(282)، تشـتمل على نحو خمسة وثمانين وأربعمائة بين حديث وأثر، فجـزى الله سـلفنا الصالح الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم.

الأثر الخامس عشر:

قـال ابن حـزم في كتابه "إحكـام الأحكـام" (ج1 ص89): وقد ذكر محمد ابن نصر المروزي أن إسـحاق بن راهويه كـان يقـول: من بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسـلم خـبر يقر بصحّته ثم ردّه بغير تقيّة، فهو كافر.

الأثر السادس عشر:

قـال الـدارمي رحمه الله (ج1 ص60): أخبرنا محمد بن يوسف حـدثنا مالك هو ابن مغـول قـال: قـال لي الشـعبي: ما حدّثوك هؤلاء عن رسـول الله فخذْ به، وما قـالوه بـرأيهم فألقه في الحشّ.

هذا الأثر صحيح.

الأثر السابع عشر:

ونقل القاضـي أبوالحسـين محمد بن أبي يعلى في "طبقـات الحنابلـة" في ترجمة إبـراهيم بن أحمد بن شاقلا (ج2 ص135) أنه قال: ومن خالف الأخبار التى نقلها العدل عن العدل موصـولة بلا قطع في سـندها ولا جـرح في ناقليها وتجـرأ على ردّها فقـد تهجّم على رد الإسلام، لأن الإسلام منقول إلينا بمثل ما ذكرت.

وقال ص(138) لخصـمه: أنت تتكلم على المسـلمين فتحشـوا أسماعهم بمثل كلام الكلبي الكـذاب، فيما يخـبر عن مـراد الله تعـالى من الأمم الخالية التي لم يشـاهدها، فلا يكـون عنـدك هـذيان ثم تجيء إلى مثل إبـراهيم النخعي عن علقمة عن عبدالله -حديث الخبر[1]- فتقول: هذا هذيان، وهذا قول من تقلـده خرج عندي من الدين وسلك سبيل غير المسلمين.اهـ

الأثر الثامن عشر:

قـال الحسن بن علي البربهـاري[2] في "شـرح كتـاب السـنة" له ص(113):ـ وإذا سمعت الرجل يطعن على الأثر أو يـرد الآثـار، أو

1 كذا في الأصل، وصوابه: الحبر، والحـديث متفق عليه، جـاء حـبر إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: يا محمد إن اللـه يضع السماء على إصبع، والأرض على إصبع، والجبـال على إصـبع، والشـجر والأنْهار على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يقـول بيـده: أنا الملك، فضحك رسول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم وقـال: {وما قـدروا الله حقّ قدره}.

2 البربهارى: هذه النسبة إلى بربهار، وهى الأدوية التى تجلب من الهند، يقال لها: البربهار، ومن يجلبها يقال له: البربهارى.اهـ من "اللباب".

يريد غير الآثـار فاتّهمه على الإسـلام، ولا تشك أنه صـاحب هـوى مبتدع.

وقال أيضًا ص(119): وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ويريد القرآن، فلا تشك أنه رجل قد احتـوى على الزندقة فقمْ من عنده وودّعه.

وقال أيضًا ص(128): ولا يحل لرجل أن يقـول: فلان صـاحب سـنة، حـتى يعلم أنه قد اجتمعت فيه خصـال السـنة، فلا يقـال: صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها. اهـ

الأثر التاسع عشر:

وقال الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (ج1 ص152):ـ ولعمري إن السنن ووجـوه الحق لتـأتي كثـيرًا على خلاف الرأي ومجانبته خلافًـا بعيدًا، فما يـرى المسـلمون بدًا من اتّباعها والانقيـاد لها، ولمثل ذلك ورع أهل العلم والدين فكفهم عن الـرأي ودلهم على عوره وغوره أنه يأتي الحق على خلافه في وجـوه متعـددة، من ذلك:

أن قطع أصابع اليد، مثل قطع اليد من المنكب، أي ذلك أصـيب ففيه ستة الآف.

ومن ذلـك: أن قطع الرجل في قلة ضـررها مثل قطع الرجل من الورك، أي ذلك أصيب ففيه ستة الآف.

ومن ذلـك: أن في العيـنين إذا فقئتا مثل مـافي قطع أشـراف الأذنين في قلة ضررها، أي ذلك أصيب ففيه اثنا عشرألفًا.

ومن ذلـك: أن في شـجتين موضـحتين صـغيرتين مائتي دينـار، وما بينهما صـحيح، فـإن جـرح ما بينهما حـتى تقـام إحـداهما إلى الأخرى، كان أعظم للجرح بكثير، ولم يكن فيها حينئذ إلا خمسـون دينارًا.

ومن ذلـك: أنّ المـرأة الحـائض تقضـي الصـيام، ولا تقضـي

ومن ذلـك: رجلان: قطعت أذنا أحـدهما جميعًـا، يكـون له اثنا عشر ألفًا، وقتل الآخر فذهبت أذناه وعيناه ويـداه ورجلاه وذهبت نفسه، ليس ذلك إلا اثنا عشر ألفًـــــا، مثل ذلك الذي لم يصب إلا شراف أذنيه.

في أشباه هـذا غـير واحد فهل وجد المسـلمون بـداً من لـزوم هذا؟ وأي هذه الوجوه يستقيم على الرأي أو يخـرج في التفكير؟ إلى آخر كلامه رحمه الله.

وفي كتاب أبي محمد بن حزم رحمه الله "الإحكـام في أصـول الأحكام" من هذا الكثير الطيب فأنصح مريد الحق بقراءته.

حديث السحر

قال البخاري رحمه الله (ج10 ص221): حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا عيسى بن يـونس عن هشـام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قـالت: سـحر رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم رجل من بني زريق، يقـال لـه: لبيد بن الأعصـم، حتّى كـان رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم يخيّل إليه أنّه كـان يفعل الشّيء وما فعلـه، حتّى إذا كـان ذات يـوم أو ذات ليلة وهو

عندي، لكنّه دعا ودعا، ثمّ قال: ((يا عائشة أشعرت أنّ الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليّ، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرّجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أيّ شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجفّ طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان)) فأتاها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ناس من أصحابه، فجاء فقال: ((يا عائشة كأنّ ماءها نقاعة الحنّاء، أو كأنّ رءوس نخلها رءوس الشّياطين)) قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: ((قد عافاني الله، فكرهت أن أثوّر على النّاس فيه شرًّا)) فأمر بها فدفنت.

تابعه أبوأسامة وأبوضمرة وابن أبي الزّناد، عن هشام، وقال اللّيث وابن عيينة عن هشام: ((في مشط ومشاطة))، يقال: المشاطة ما يخرج من الشّعر إذا مشط، والمشاطة من مشاطة الكتّان.

وقال البخاري رحمه الله (ج10 ص232): وحدثني عبدالله بن محمد قال سمعت ابن عيينة يقول: أول من حدثنا به ابن جريج يقول: حدثني آل عروة فسألت هشامًا عنه فحدثنا عن أبيه: عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سحر حتّى كان يرى أنّه يأتي النّساء ولا يأتيهنّ. قال سفيان: وهذا أشدّ ما يكون من السّحر إذا كان كذا، فقال:

((يا عائشة أعلمت أنّ الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليّ، فقال الّذي عند رأسي للآخر: ما بال الرّجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبّه؟ قال: لبيد بن أعصم، رجل من بني زريق حليف ليهود، كان منافقًا، قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاطة، قال: وأين؟ قال: في جفّ طلعة ذكر، تحت راعوفة في بئر ذروان)) قالت: فأتى النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم البئر حتّى استخرجه، فقال: ((هذه البئر الّتي أريتها، وكأنّ ماءها نقاعة الحنّاء، وكأنّ نخلها رءوس الشّياطين)) قال: فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا -أي تنشّرت-؟ فقال: ((أمّا والله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من النّاس شرًّا)).

وقال البخاري رحمه الله (ج10 ص235): حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبوأسامة عن هشام عن أبيه: عن عائشة قالت: سحر النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتّى إنّه ليخيّل إليه أنّه يفعل الشّيء وما فعله، حتّى إذا كان ذات يوم وهو عندي، دعا الله ودعاه، ثمّ قال: ((أشعرت يا عائشة أنّ الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه)) : قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ((جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليّ، ثمّ قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرّجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهوديّ، من بني زريق، قال: فيما ذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجفّ طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في

بئر ذي أروان)) قال: فذهب النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثمّ رجع إلى عائشة فقال: ((والله لكأنّ ماءها نقاعة الحنّاء، ولكأنّ نخلها رءوس الشّياطين))، قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟ قال: ((لا، أمّا أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثوّر على النّاس منه شرًّا)) وأمر بها فدفنت.

وقال الإمام مسلم (ج14 ص174): حدثنا أبوكريب حدثنا ابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسلّم يهوديّ من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت: حتّى كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخيّل إليه أنّه يفعل الشّيء وما يفعله، حتّى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة، دعا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثمّ دعا ثمّ دعا، ثمّ قال: ((يا عائشة أشعرت أنّ الله أفتاني فيما استفتيته فيه، جاءني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليّ، فقال الّذي عند رأسي للّذي عند رجليّ، أو الّذي عند رجليّ للّذي عند رأسي: ما وجع الرّجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أيّ شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، قال: وجفّ طلعة ذكر، قال: فأين هو، قال: في بئر ذي أروان)) قالت: فأتاها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أناس من أصحابه، ثمّ قال: ((يا عائشة والله لكأنّ ماءها نقاعة الحنّاء، ولكأنّ نخلها رءوس

الشّياطين)) قالت: فقلت: يا رسول الله أفلا أحرقته؟ قال: لا، أمّا أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير على النّاس شرًّا)) فأمرت بها فدفنت.

حدثنا أبوكريب حدثنا أبوأسامة حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وساق أبوكريب الحديث بقصّته نحو حديث ابن نمير وقال فيه: فذهب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل، وقالت: قلت: يا رسول الله فأخرجه؟ ولم يقل: أفلا أحرقته، ولم يذكر فأمرْت بها فدفنت.

وقال الإمام أحمد رحمه الله (ج6 ص63): ثنا إبراهيم بن خالد عن رباح عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لبث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ستّة أشهر يرى أنّه يأتي، ولا يأتي، فأتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر: ما باله؟ قال: مطبوب. قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: فيم؟ قال: في مشط ومشاطة في جفّ طلعة ذكر في بئر ذروان تحت راعوفة، فاستيقظ النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم من نومه فقال: ((أي عائشة ألم ترين أنّ الله أفتاني فيم استفتيته، فأتى البئر فأمر به فأخرج، فقال: هذه البئر الّتي أريتها والله كأنّ ماءها نقاعة الحنّاء، وكأنّ رءوس نخلها رءوس الشّياطين، فقالت عائشة: لو أنّك -كأنّها تعني أن ينتشر-، قال: ((أما والله قد

عافاني الله، وأنا أكره أن أثير على النّاس منه شرًّا)).

الرواة لحديث السحر عن هشام بن عروة

1- يحيى بن سعيد القطان البصـرى عند البخـاري (ج6 ص 276) وأحمد (ج6 ص50) وابن جرير (ج2 ص437) بتخريج أحمد شاكر.

2- عيسى وهو ابن يـونس الكـوفي عند البخـاري (ج6 ص 334) و (ج10ص221)ـ والنسـائي في "الكـبرى" (ج4 ص380) وإسـحاق (ج2 ص68)ـ وعند ابن حبـان (ج8 ص194) من "تقريب الإحسـان". وقـال البخـاري (ج10 ص221): تابعه أبوأسـامة وأبوضـمرة وابن أبي الزنـاد عن هشام وقال الليث وابن عيينة: عن هشام.

3- ابن جريج المكي عند البخاري (ج10 ص232).

4- أبوأسامة وهو حماد بن أسامة الكوفي عند البخاري (ج 10 ص235) وعند مسـلم (ج14 ص178) وعند أحمد (ج6 ص63) وعند أبي يعلى (ج8 ص90).

5- سفيان بن عيينة الكـوفي نزيل مكـة عند البخاري (ج10 ص479) وعند الحميدي (ج1 ص125) وابن حـزم (ج 11 ص400) وقال: هذا خـبر صـحيح، والشـافعي كما في "المسـند" (ج2 ص196) بتحقيق أبي عمـير حفظه الله.

6- أبوضـمرة أنس بن عيـاض المـدني عند البخـاري (ج11

ص192) والـبيهقي في "دلائل النبـوة" (ج9 ص247)، والبغوي في "شرح السنة" (ج6 ص279).

7- عبدالله بن نمـير الكـوفي عند مسـلم (ج14 ص174) وابن ماجة (ج2 ص1173) وعند أحمد (ج6 ص57) وعند ابن أبي شـيبة (ج8 ص30) من القسم الأول من الجزء الثامن وابن جرير (ج2 ص437) وعند ابن حبـان (ج8 ص194) من "تقريب الإحسان".

8- معمر بن راشد البصري نزيل اليمن عند أحمد (ج6 ص 63).

9- وهيب وهو ابن خالد بن خالد البصري عند أحمد (ج6 ص 96) وعند ابن سعد (مجلد2 قسم2 ص4).

10- عبـدالرحمن بن أبي الزنـاد المـدني كما ذكـره البخـاري معلقًـا (ج10 ص221) قـال الحافظ في "الفتح" ولم أعرف من وصلها.

11- الليث بن سـعد المصري عند البخـاري (ج7 ص145) طبعة حلبية مع "الفتح" معلقًا قـال الحافظ في "الفتح" (ج7 ص145) روينـاه موصـولاً في نسـخة عيسى بن حماد رواية أبي بكر بن أبي داود.اهـ

12- مـرجي بن رجـاء البصـرى ذكـره الحافظ في "تغليق التعليق" (ج5ص49). وعزاه في "الفتح" إلى الطبراني.

13- حمـاد بن سـلمة البصـرى ذكـره الحافظ في "تغليق

التعليق" (ج5 ص49).

14- علي بن مسهر في "مشكل الآثار" للطحـاوي (ج15 ص 179).

فـأنت تـرى أن الحـديث قد رواه جماعة عن هشـام بن عـروة منهم البصري، ومنهم الكـــوفي، ومنهم المكي، ومنهم المـــدني، ومنهم المصري، وناهيك بحـــديث من رواته يحـــيى بن ســـعيد القطــان، وهو في غاية من التحرّى، وهــذا الحــديث لم ينتقــده محدث وهم الحجة لا أصحاب الأهواء فإنّهم أعداء السنن.

وهشام بن عروة تكلم بعضهم فيما حدث بالعراق، وأنه حدث عن أبيه بما لم يسمع منه وهذا منفي هنا فإنه قد صرح بالتحديث عن أبيه، وقد قال أبوالحسن بن القطان: إن هشامًا اختلط فقـال الحافظ: في "تهذيب التهذيب" ولم نر له في ذلك سلفًا.اهـ

وقال الحافظ الذهبي في "ميزان الاعتدال": هشام بن عــروة أحد الأعلام، حجة إمام، لكن في الكبر تناقص حفظه ولم يختلط أبدًا ولا عـبرة بما قاله أبوالحسن بن القطـان من أنه وسـهيل بن أبي صـالح اختلطا وتغـيرا، نعم الرجل تغيّـر قليلاً ولم يبق حفظه كهو في حال الشبيبة فنسـي بعض محفوظه أو وهم فكـان مـاذا أهو معصوم من النسيان.

ولما قدم العراق في آخر عمره حـدث بجملة كثـيرة من العلم في يغضون ذلك يسـير أحـاديث لم يجودها ومثل هـذا يقع لمالك ولشعبة ولوكيع ولكبـار الثقـات، فـدع عنك الخبط وذر خلط الأئمة

الأثبات بالضعفاء والمخلطين فهشام شيخ الإسلام، ولكن أحسن الله عزاءنا فيك يا ابن القطان، وكذا قول عبدالرحمن بن خـراش: كـان مالك لا يرضـاه نقم عليه حديثه لأهل العـراق، قـدم الكوفة ثلاث مرات، قدمة كـان يقـول: حـدثني أبي قـال سـمعت عائشة. والثانية: فكان يقول: أخبرني أبي عن عائشة وقـدم الثالثة فكـان يقول أبي عن عائشة يعني يرسل عن أبيه.

وروى محمد بن علي البـاهلي عن شـيخ من قـريش: أهـوى هشام بن عروة إلى يد المنصور يقبّلها فمنعه وقال -يا ابن عـروة إنا نكرمك عنها ونكرمها عن غيرك. قيل بلغ سـبعًا وثمـانين سـنة. اهـ.

وذكر الحافظ في "الفتح)) أنه جاء عن عمرة عن عائشة فـإن ثبت حديث عمرة عن عائشة فـيزداد الحـديث قـوة وإلا فالحـديث صحيح والحمد لله. ثم وجدته فى "دلائل النبوة" للبيهقي (ج7 ص 92) وفي سنده سلمة بن حبان البصرى ترجمه ابن ماكولا وقـال: روى عنه عبدالله بن أحمد بن حنبل ويوسف بن يعقوب القاضـي. اهـ

وترجمه ابن أبي حـاتم وقـال: روى عنه علي بن الحسـين بن الجنيد. ولم يـذكر أنه وثقه معتـبر فعلى هـذا فهو مسـتور الحـال يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات.

شاهد لحديث السحر

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج4 ص367): ثنا أبومعاوية ثنا

الأعمش عن يزيد بن حيـان عن زيد بن أرقم قـال: سـحر النّـبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسـلم رجل من اليهـود، قـال: فاشـتكى لذلك أيّامًا، قال: فجـاءه جبريل عليه السّـلام فقـال: إنّ رجلاً من اليهود سحرك، عقد لك عقدًا عقدًا في بئر كـذا وكـذا، فأرسل إليها من يجيء بها، فبعث رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم عليًّا رضي الله عنـه، فاسـتخرجها فجـاء بها فحلّلهـا، قـال: فقـام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كأنّما نشط من عقـال، فما ذكر لذلك اليهوديّ ولا رآه في وجهه قطّ حتّى مات.

هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

وأخرجه النسائي (ج7 ص 112) فقال: أخبرنا هنّـاد بن السري عن أبي معاوية به.

وأخرجه ابن أبي شيبة (ج8 ص30،29،1)، والطبراني (ج5 ص 202).

وأخرجه ابن سعد (مجلد2 ق2 ص6) فقال: أخبرنا موسى بن مسـعود حـدثنا سـفيان الثـورى عن الأعمش عن ثمامة المحلمي عن زيد بن أرقم قـال: عقد رجل من الأنصـار (يعني للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عقدًا، وكـان يأمنه ورمى به في بئر كذا وكذا، فجاء الملكان يعودانه، فقال أحـدهما لصـاحبه: أتدري ما به؟ عقد له فلان الأنصاري، ورمى به في بئر كـذا وكـذا، ولو أخرجه لعـوفي فبعثـوا إلى البـئر فوجـدوا المـاء قد اخْضرّ فأخرجوه فرموا به، فعوفي رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله

وسلم فما حدث به ولا رؤي في وجهه.

هـذا حـديث صـحيح، وقد اختلف على الأعمش فيه، فـرواه أبومعاوية عن الأعمش عن يزيد بن حيان، كما عند الإمـام أحمد، وأبومعاوية من أثبت النـاس في الأعمش، وخالفه الثـوري كما تقدم عند ابن سـعد فـرواه عن الأعمش عن ثمامة المحلمي عن زيد بن أرقم، وتـابع الثـوري شـيبان بن عبـدالرحمن عند يعقـوب الفسوي في "المعرفة والتاريخ" (ج3 ص289) وعند الطبراني (ج 5 ص201) وتابعهما جرير وهو ابن عبدالحميد عند الطبراني في "الكبير"، فالظاهر أن أبا معاوية شذّ في هذا، لأنّ سفيان وشيبان وجرير أرجح منه والله أعلم.

وثمامة هو ابن عقبة المحلمي الكـوفي وثّقة ابن معـين والنسـائي، كمـا في "تهـذيب التهـذيب"، ويزيد بن حيـان وثّقه النسائي كما في "تهذيب التهذيب"، فالحـديث صـحيح سـواء أقلنا: إنّ أبا معاوية شذّ فيه أم إن للأعمش شيخين، والله أعلم.

وقد قـال الهيثمي في "المجمـع" (ج6 ص281): قلت: رواه النسائي باختصار، ورواه الطبراني بأسانيد ورجـال أحـدها رجـال الصحيح. اهـ

وقد جاء في بعض طرقه كما ترى أنّ الذي سـحر النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم رجل من الأنصـار، فتعقّب الحافـظ ابن كثـير رحمه الله تعـالى هـذا في "البداية والنهايـة" (ج6 ص39) فقال: قلت: والمشهور أنّ لبيد بن الأعصم اليهودي هو الذى سحر

النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم . اهـ المراد منه.

شرح الحديث

قال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (ج10 ص227):

قوله: (حتى إذا كانت ذات يوم أو ذات ليلة) شك من الراوي، وأظنه من البخـاري لأنه أخرجه في صـفة إبليس من بـدء الخلق، فقـال: حـتى كـان ذات يـوم. ولم يشك ثم ظهر لي أن الشك فيه من عيسى بن يـــونس، وأن إســـحاق بن راهويه أخرجه في "مسنده" على الشك، ومن طريقه أخرجه أبـونعيم فيحمل الجـزم الماضي على أن إبراهيم بن موسى شيخ البخـاري حدثه به تـارة بالجزم وتارةً بالشك ويؤيده ما سـأذكره من الاختلاف عنه، وهـذا من نوادر ما وقع في البخاري أن يخرج الحديث تامًـا بإسـناد واحد بلفظين، ووقع فى رواية أبي أسامة الآتية قريبًا: (ذات يـوم) بغـير شك، و(ذات) بالنصب ويجـــوز الرفع، ثم قيل: إنّها مقحمة، وقيل: بل هي من إضافة الشيء لنفسه على رأي من يجيزه.

قوله: (وهو عندي لكنه دعا ودعا) كذا وقع، وفي الرواية الماضية فى بدء الخلق (حتى كان ذات يوم دعا ودعا)، وكذا علقه المصـنف لعيسى بن يـونس في الدعوات، ومثله في رواية الليث، قال الكرماني: يحتمل أن يكون هذا الاستدراك من قولها (عندي) أي: لم يكن مشتغلاً بي بل اشتغل بالدعاء، ويحتمل أن يكون من التخيل أي: كـان السـحر أضـره في بدنه لا في عقله وفهمه بحيث أنه توجّه إلى الله ودعا على الوضع الصحيح، والقانون المسـتقيم،

ووقع في رواية ابن نمير عند مسلم: (فدعا ثم دعا ثم دعا)، وهذا هو المعهود منه أنه كان يكرر الدعاء ثلاثًا، وفي رواية وهيب عند أحمد وابن سعد: (فرأيته يدعو)، قال النووي: فيه استحباب الدعاء عند حصول الأمور المكروهات وتكريره، والالتجاء إلى الله تعالى في دفع ذلك. قلت: سلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي الأسباب، ففى أول الأمر فوض وسلّم لأمر ربه فاحتسب الأجر في صبره على بلائه، ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه أن يضعفه عن فنون عبادته جنح إلى التداوي ثم إلى الدعاء، وكل من المقامين غاية فى الكمال.

قوله: (أشعرت) أي: علمت، وهي رواية ابن عيينة كما في الباب الذي بعده.

قوله: (أفتاني فيما استفتيته) في رواية الحميدي (أفتاني في أمر استفتيه فيه)، أي أجابني فيما دعوته، فأطلق على الدعاء استفتاءً، لأن الداعي طالب والمجيب مفت، أو المعنى: أجابني بما سألته عنه، لأن دعاءه كان أن يطلعه الله على حقيقة ما هو فيه، لما اشتبه عليه من الأمر، ووقع في رواية عمرة عن عائشة (أن الله أنبأني بمرضي) أي أخبرني.

قوله: (أتاني رجلان) وقع في رواية أبي أسامة: (قلت: وما ذاك؟ قال: أتاني رجلان) ووقع في رواية معمر عند أحمد ومرجأ بن رجاء عند الطبراني كلاهما عن هشام: (أتاني ملكان)،

وســماهما ابن ســعد في رواية منقطعة جبريل وميكائيل، وكنت ذكرت فى المقدمة ذلك احتمالاً.

قوله: (فقعد أحدهما عند رأسي والاخر عند رجلي) لم يقع لي أيهما قعد عنـد رأسه لكنـني أظنه جبريل لخصوصيّته به عليهما السـلام، ثم وجـدت في "السـيرة" للـدمياطي الجـزم بأنه جبريل، قال: لأنه أفضل. ثم وجـدت في حـديث زيد بن أرقم عند النسائي وابن سعد وصححه الحاكم وعبد بن حميد (سحر النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسلم رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أيامًـا، فأتـاه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك عقد لك عقدًا كذا في بئر كذا) فدل مجموع الطـرق على أن المسـئول هو جبريل والسـائل ميكائيل.

قوله: (فقال أحدهما لصاحبه) وفي رواية ابن عيينة الآتية بعد بـــاب (فقـــال الذي عند رأسه للآخر)، وفي رواية الحميدي (فقال الذي عند رجلي للذي عند رأسي)، وكأنّها أصوب، وكـذا هو في حـديث ابن عبـاس[1] عند الـبيهقي، ووقع الشك في رواية ابن نمير عند مسلم.

---

1 **حديث ابن عباس** أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (ج6 ص248)، وفي سـنده محمد بن السـائب الكلـبي وهوكـذاب يرويه عن أبي صـالح واسمه باذام وهو ضعيف فالحديث بهذا السند ضعيف جدًا.

وأخرجه ابن سـعد (ج2 ص198) وفي سـنده جويـبر بن سـعيد وهو متروك يرويه عن الضحاك عن ابن عباس والضـحاك هو ابن مـزاحم لم يسمع من ابن عباس فالحديث عند ابن سعد ضعيف جدًا.

قوله: (ما وجع الرجل) كذا للأكثر، وفي رواية ابن عيينة (ما بال الرجل) وفي حـديث ابن عبـاس عند الـبيهقي (ما ترى)، وفيه إشــارة إلى أن ذلك وقع في المنــام إذ لو جــاءا إليه في اليقظة لخاطباه وسألاه، ويحتمل أن يكون كان بصفة النائم وهو يقظان، فتخاطبا وهو يسمع، وأطلق في رواية عمرة عن عائشة أنه كـان نائمًـا، وكـذا في رواية ابن عيينة عند الإسماعيلي (فانتبه من نومه ذات يـوم) وهو محمـول على ما ذكـرت، وعلى تقـدير حمله على الحقيقة فرؤيا الأنبياء وحي، ووقع في حديث ابن عبـاس عند ابن سـعد بسـند ضـعيف جدًا (فهبط عليه ملكـان وهـو بين النـائم واليقظان).

قوله: (فقال: مطبوب) أي: مسحور يقال: طب الرجل -بالضم- إذا سحر، يقال: كنوا عن السحر بالطب تفاؤلاً، كمـا قـالوا للديغ: سليم، وقال ابن الأنبـاري: الطب من الأضـداد، يقـال لعلاج الداء طب، والسحر من الداء ويقال له: طب.

وأخـــرج أبوعبيد من مرسل عبـــدالرحمن بن أبي ليلى قـــال: احْتجم النّـبيّ صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم على رأسه بقرْن حيْن طبّ. قال أبوعبيد: يعني سحر.

قال ابن القيم بنى النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم الأمر أولاً على أنه مـرض وأنه عن مادة مـالت إلى الـدماغ وغلبت على البطن المقدم منه فغيرت مزاجه، فرأى اسـتعمال الحجامة لـذلك مناسبًا فلما أوحي إليه أنه سحر عدل إلى العلاج المناسب له وهو

استخراجه، قال: ويحتمل أن مادة السحر انتهت إلى إحدى قوى الرأس حتى صار يخيّل إليه ما ذكر، فإن السحر يكون من تأثير الأرواح الخبيثة، وقد يكون من انفعال الطبيعة وهو أشد السحر، واستعمال الحجم لهذا الثاني نافع، لأنه إذا هيّج الأخلاط وظهر أثره فى عضو كان استفراغ المادة الخبيثة نافعًا في ذلك، وقال القرطبي: إنما قيل للسحر طب لأن أصل الطب الحذق بالشيء والتفطن له فلما كان كل من علاج المرض والسحر إنما يتأتى عن فطنة وحذق أطلق على كل منهما هذا الاسم.

قوله: (في مشط ومشاطة) أما المشط بضم الميم، ويجوز كسرها أثبته أبوعبيد وأنكره أبوزيد، وبالسكون فيهما، وقد يضم ثانيه مع ضم أوله فقط، وهو الآلة المعروفة التى يسّرح بها شعر الرأس واللحية وهذا هو المشهور، ويطلق المشط بالإشتراك على أشياء أخرى منها العظم العريض في الكتف وسلاميات ظهر القدم، ونبت صغير يقال له: مشط الذنب قال القرطبي: يحتمل أن يكون الذى سحر فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحد هذه الأربع قلت: وفاته آلة لها أسنان وفيها هراوة يقبض عليها ويغطى بها الإناة.

قال ابن سيده فى "المحكم": أنّها تسمى المشط، والمشط أيضًا سمة من سمات البعير تكون في العين والفخذ، ومع ذلك فالمراد بالمشط هنا هو الأول فقد وقع في رواية عمرة عن عائشة فإذا فيها مشط رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ومن مراطة رأسه، وفي حديث ابن عباس: من شعر رأسه ومن أسنان مشــطه وفي مرسل عمر بن الحكم فعمد إلى مشط، وما مشط من الرأس من شعر، فعقد بذلك عقداً.

قوله: (ومشاطة) سيأتي بيان الاختلاف هل هي بالطاء أو القاف في آخر الكلام على هذا الحديث حيث بيّنه المصنف.

قوله: (وجف طلع نخلة ذكر) قال عياض: وقع للجرجاني يعني في البخاري والعذري -يعني في مسلم- بالفاء ولغيرهما بالموحدة، قلت: أما رواية عيسى بن يونس هنا فوقع للكشميهني بالفاء ولغيره بالموحدة، أما روايته في بدء الخلق فالجميع بالفاء، وكذا في رواية ابن عيينة للجميع وللمستملي في رواية أبي أسامة بالموحدة، وللكشميهني بالفاء، وللجميع في رواية أبي ضمرة في الدعوات بالفاء، قال القرطبي: روايتنا -يعني في مسلم- بالفاء.

وقال النووي: في أكثر نسخ بلادنا بالباء، يعني في مسلم وفي بعضها بالفاء، وهما بمعنى واحد: الغشاء الذي يكون على الطّلع ويطلق على الذكر والأنثى، فلهذا قيّده بالذكر في قوله: (طلعة ذكر) وهو بالإضافة. انتهى.

ووقع في روايتنا هنا بالتنوين فيهما على أن لفظ (ذكر) صفة الجف، وذكر القرطبي أن الذي بالفاء هو وعاء الطلع، وهو الغشاء الذي يكون عليه، وبالموحدة داخل الطلعة إذا خرج منها الكفري قاله شمر، قال: ويقال أيضًا لداخل الركية من أسفلها إلى

أعلاها (جف)، وقيل: هو من القطع ماقطع من قشورها، وقال أبوعمرو الشيباني: الجف بالفاء شيء ينقر من جذوع النخل.

قوله: (وأين هو؟ قال: هو في بئر ذروان) زاد ابن عيينة وغيره (تحت راعوفة)، وسيأتي شرحها بعد الباب، وذروان بفتح المعجمة وسكون الراء وحكى ابن التين فتحها، وأنه قرأه كذلك ولكنه بالسكون أشبه، وفي رواية ابن نمير عند مسلم (في بئر ذي أروان)، وبأتي في رواية أبي ضمرة في الدعوات مثله وفي نسخة الصغاني لكنه بغير لفظ (بئر) ولغيره (في ذروان)، و(ذروان) بئر في بني زريق، فعلى هذا فقوله: (بئر ذروان) من إضافة الشيء لنفسه، ويجمع بينهما وبين رواية ابن نمير بأن الأصل (ذي أروان)، ثم لكثرة الاستعمال سهلت الهمزة فصارت (ذروان)، ويؤيده أن أبا عبيدة البكري صوّب أن اسم البئر (أروان) بالهمز، وأن من قال (ذروان) أخطأ، وقد ظهر أنه ليس بخطأ على ما وجهته، ووقع في رواية أحمد عن وهيب وكذا في روايته عن ابن نمير: (بئر أروان) كا قال البكري فكأن رواية الأصيلي كانت مثلها فسقطت منها الراء.

ووقع عند الأصيلي في ما حكاه عياض (في بئر ذي أوان) بغير راء، قال عياض: وهو وهم، فإن هذا موضع آخر على ساعة من المدينة، وهو الذي بني فيه مسجد الضرار.

قوله: (فأتاه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ناس من أصحابه). وقع في حديث ابن عباس عند ابن سعد

(فبعث إلى علي وعمار فأمرهما أن يأتيا البئر)، وعنده في مرسل عمر بن الحكم: (فدعا جبير بن إياس الزرقي وهو ممن شهد بدرًا فدلّه على موضعه في بئر ذروان، فاستخرجه)، قال: ويقال: الذي استخرجه قيس بن محصن الزرقي، ويجمع بأنه أعان جبيرًا على ذلك وباشره بنفسه فنسب إليه، وعند ابن سعد أيضًا (أن الحارث بن قيس قال: يا رسول الله ألا يهور البئر؟) فيمكن تفسير من أبْهم بهؤلاء أو بعضهم، وأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجههم أولاً ثم توجه فشاهدها بنفسه.

قوله: (فجاء فقال: يا عائشة) وفي رواية وهيب (فلما رجع فقال: يا عائشة) ونحوه في رواية أبي أسامة ولفظه: (فذهب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى البئر فنظر إليها ثم رجع إلى عائشة فقال)، وفي رواية عمرة عن عائشة (فنزل رجل فاستخرجه)، وفيه من الزيادة: (أنه وجد في الطلعة تمثالاً من شمع تمثال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإذا فيه إبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرأ اية انحلت عقدة، وكلما نزع إبرة وجد لها ألمًا، ثم يجد بعدها راحة)، وفي حديث ابن عباس نحوه كما تقدم التنبيه عليه.

وفى حديث زيد بن أرقم الذى أشرت إليه عند عبد بن حميد وغيره (فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين وفيه: فأمر أن يحل العقد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويحل حتى قام كأنما نشط من

عقـال)، وعند ابن سـعد من طريق عمر مـولى غفـرة معضـلة (فاستخرج السحر من الجف من تحت البئر ثم نزعه فحله فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

قوله: (كأن ماءها) في رواية ابن نمير: (والله لكأن ماءها)، أي: البـئر (نقاعة الحنـاء) بضم النـون وتخفيف القـاف، والحنـاء معروف وهو بالمد، أي أن لون ماء البئر لون الماء الذى ينقع فيه الحناء، قال ابن التين: يعني أحمر، وقـال الـداودي: المـراد المـاء الذى يكون من غسالة الإناء الذى تعجن فيه الحناء.

قلت: ووقـع في حـديث زيد بن أرقم عند ابن سـعد وصـححه الحاكم (فوجد الماء وقد اخضرّ)، وهذا يقول قول الداودي.

قال القرطبي: كأن ماء البئر قد تغير إما لرداءته بطـول إقامته، وإما لما خالطه من الأشياء التى ألقيت فى البئر، قلت: ويرد الأول أن عند ابن سعد فى مرسل عبدالرحمن بن كعب أن الحـارث بن قيس هوّر البئر المذكورة، وكان يستعذب منها، وحفر بـئرًا أخـرى، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حفرها.

قوله: (وكأن رءوس نخلها رءوس الشياطين) كذا هنا، وفي الرواية التي في بدء الخلق: (نخلها كأنه رءوس الشياطين)، وفي رواية ابن عيينة وأكـثر الـرواة عن هشـام: (كـأن نخلها) بغـير ذكر (رءوس) أولاً، والتشبيه إنما وقع على رءوس النخل فلذلك أفصح به في رواية البـاب وهو مقـدر في غيرها ووقع في رواية عمـرة عن عائشة (فإذا نخلها الـذى يشـرب من ماءها قد التـوى سـعفه

كأنه رءوس الشياطين)، وقد وقع تشبيه طلع شجرة الزقوم في القرآن برءوس الشياطين.

قال الفراء وغيره: يحتمل أن يكون شبّه طلعها في قبحه برءوس الشياطين لأنّها موصوفة بالقبح وقد تقرر في اللسان أن من قال: فلان شيطان، أراد أنه خبيث أو قبيح، وإذا قبحوا مذكرًا قالوا: شيطان أو مؤنثًا قالوا: غول ويحتمل أن يكون المراد بالشياطين الحيّات، والعرب تسمي بعض الحيّات شيطانًا وهو ثعبان قبيح الوجه، ويحتمل أن يكون المراد نبات قبيح قيل إنه يوجد باليمن.

وقوله: (قلت يا رسول الله أفلا استخرجته) في رواية أبي أسامة (فقال: لا)، ووقع في رواية ابن عيينه أنه استخرجه وأن سؤال عائشة إنما وقع عن النشرة فأجابها بلا، وسيأتي بسط القول فيه بعد باب.

قوله: (فكرهت أن أثير على الناس فيه شرًا) في رواية الكشميهني: (سوءًا) ووقع في رواية أبي أسامة: (أن أثوّر)، بفتح المثلثة وتشديد الواو، وهما بمعنى، والمراد بالناس التعميم في الموجودين، قال النووي: خشي من إخراجه وإشاعته ضررًا على المسلمين من تذكر السحر وتعلمه ونحو ذلك، وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة، ووقع في رواية ابن نمير: (على أمتي) وهو قابل أيضًا للتعميم، لأن الأمة تطلق على أمة الإجابة وأمة الدعوة، وعلى ما هو أعم وهو يرد على من زعم أن المراد

بالناس هنا لبيد ابن الأعصم لأنه كان منافقًا فأراد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن لا يثير عليه شرًا لأنه كان يؤثر الإغضاء عمن يظهر الإسلام، ولو صدر منه ما صدر، وقد وقع أيضًا في رواية ابن عيينة: (وكرهت أن أثير على أحد من الناس شرًا)، نعم وقع في حديث عمرة عن عائشة (فقيل: يارسول الله لو قتلته؟ قال: ((ما وراءه من عذاب الله أشد))).

وفي رواية عمرة: (فأخذه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاعترف فعفا عنه)، وفي حديث زيد بن أرقم: (فما ذكر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لذلك اليهودي شيئًا مما صنع به، ولا رآه في وجهه)، وفي مرسل عمر بن الحكم: (فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: حب الدنانير)، وقد تقدم في كتاب الجزية قول ابن شهاب أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يقتله، وأخرج ابن سعد من مرسل عكرمة أيضًا أنه لم يقتله، ونقل عن الواقدي أن ذلك أصح من رواية من قال إنه قتله، ومن ثم حكى عياض في "الشفاء" قولين: هل قتل أم لم يقتل؟ وقال القرطبي: لا حجة على مالك من هذه القصة، لأن ترك قتل لبيد بن الأعصم كان لخشية أن يثير بسبب قتله فتنة، أو لئلا ينفر الناس عن الدخول في الإسلام وهو من جنس ما راعاه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من منع قتل المنافقين حيث قال: ((لا يتحدّث النّاس أنّ محمّدًا يقتل أصحابه)).

قوله: (فأمر بها) أي: بالبئر (فدفنت) وهكذا وقع في رواية

ابن نمير وغيره عن هشام وأورده مسلم من طريـق أبي أسـامة عن هشـام عقب روايـة ابن نمـير وقـال: لم يقل أبوأسـامة في روايته (فأمر بها فدفنت)، قلت: وكأن شيخه لم يذكرها حين حدثه، وإلا فقد أورده البخاري عن عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة كما في الباب بعده، وقال في آخره: (فأمر بها فدفنت)، وقد تقـدم أن في مرسل عبدالرحمن بن كعب أن الحارث بن قيس هورها.

قوله: (تابعه أبوأسامة) هو حماد بن أسامة، وتأتي روايته موصولة بعد بابين.

قوله: (وأبوضمرة) هو أنس بن عياض ستأتي روايته موصولة في كتاب الدعوات.

قوله: (وابن أبي الزناد) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن ذكوان، ولم أعرف من وصلها بعد.

قوله: (وقال الليث وابن عيينة عن هشام فى مشط ومشـاطة) كـذا لأبي ذر ولغـيره، و(مشـاقة) وهو الصـواب وإلا لاتحـدت الروايـات، ورواية الليث تقـدم ذكرها في بدء الخلق، ورواية ابن عيينة تأتي موصولة بعد باب وذكر المزي في الأطراف تبعًا لخلف أن البخـاري أخرجه في الطب عن الحميدي، وعن عبد الله بن محمد كلاهما عن ابن عيينة وطريق الحميدي ما هي في الطب في شـيء من النسخ الـتى وقفت عليها، وقـد أخرجـه أبونعيـم في "المسـتخرج" من طريق الحميدي، وقـال بعـده: أخرجه البخاري عن عبيدالله ابن محمد لم يزد على ذلك، وكـذا لم

يذكر أبومسعود في "أطرافه" الحميدي، والله أعلم.

قوله: (ويقال المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط) هذا لا اختلاف فيه بين أهل اللغة، قال ابن قتيبة: المشاطة ما يخـرج من الشعر الذي سقط من الرأس إذا سرح بالمشط وكذا من اللحية.

قوله: (والمشاطة من مشاطة الكتان) كذا لأبي ذر، كأن المـراد أن اللفظ مشـترك بين الشـعر إذا مشط وبين الكتـان إذا سرح، ووقع في رواية غير أبي ذر (والمشـاقة) وهو أشـبه، وقيل: المشـاقة هي المشـاطة بعينها، والقـاف تبـدل من الطـاء لقـرب المخرج والله أعلم. اهـ

وقال ابن مفلح في "الآداب الشرعية" (ج3 ص95): فصل: (في السحر وعلاجه وحديث سحر لبيد للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم)

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قـالت: سـحر النّـبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يهوديّ من يهود بني زريـق، يقـال له: لبيد بن الأعصم، حتّى كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخيّل إليه أنّه كان يفعل الشّيء وما يفعلـه، حتّى كـان ذات يـوم وهو عنـدي، دعا الله ثمّ قـال: ((يا عائشة أشـعرت أنّ الله أفتـاني فيما اسـتفتيته فيـه، جـاءني رجلان فقعد أحـدهما عند رأسـي، والآخر عند رجليّ، فقـال أحـدهما لصـاحبه: ما وجع

الرّجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أيّ شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجفّ طلع ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان)) فأتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أناس من أصحابه، ثمّ قال: ((يا عائشة والله لكأنّ ماءها نقاعة الحنّاء، ولكأنّ رءوس نخلها رءوس الشّياطين)) فقلت: يا رسول الله أفلا أخرجته؟ -وفي مسلم: أحرقته- قال: ((لا، أما أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير على النّاس شرًّا فأمرت بها فدفنت)).

وفي لفظ للبخاري: (يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي)، وفيه أيضًا: (حتى كان يرى أنه إن كان يأتي أهله ولا يأتي)، وفيه أيضًا: (حتى كان يرى أنه إن كان يأتي النساء ولا يأتيهن)، قال سفيان: وذلك أشد مايكون من السحر.

وفيه:(قال من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم من بني زريق، حليف اليهود كان منافقًا).

أنكر بعض الناس هذا، لأنه نقص وعيب، أو أنه يمنع الثقة بالشرع وهذا باطل فإنه من جنس الأوجاع والأمراض والسم، والدلائل القطعية ناطقة بصدقه وعصمته والإجماع أيضًا. فأمّا بعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولم يفضل من أجلها فلا مانع منه.

الطّب: بكسر الطاء، في اللغة يقال على معان:

أحدها: السحر والمطبوب المسحور. يقال: طب الرجل إذا

سحر، فكنّوا بالطب عن السحركما كنوا بالسليم عن اللديغ، قال أبوعبيد: تفاؤلاً بالسلامة، وكما كنوا بالمفازة عن الفلاة المهلكة التي لا ماء فيها فقالوا: مفازة تفاؤلاً بالفوز من الهلاك.

والثاني: الإصلاح، يقال: طببته إذا أصلحته، ويقال له طب بالأمور، أي: لطف وسياسة. قال الشاعر:

وإذا تغير من تميم أمرها كنت الطبيب لها بامر ثاقب.

قال ابن الأنباري: الطب من الأضداد، يقال لعلاج الداء طب، وللسحر طب.

والثالث: الحذق، قال الجوهري: كل حاذق طبيب عند العرب، قال أبوعبيد: أصل الطب الحذق بالأشياء والمهارة بها. يقال للرجل: طب وطبيب، إذا كان كذلك، وإن كان في غير علاج المريض، وقال غيره: رجل طبيب، أي حاذق، سمي طبيبًا لحذقه وفطنته. قال علقمة:

فإن تسالوني بالنساء فإنني خبير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له في ودهنّ نصيب

وقال غيره:

إن تغدقي دوني القناع فإنني طب بأخذ الفارس المستلئم

وذكره بعضهم بكسر الطاء وبعضهم بفتحها. أغدقت المرأة قناعها، أي أرسلته على وجهها، وأغدق الليل، أي أرخى سدوله،

وأغدق الصيّاد الشبكة على الصيد. والمستثلم الــذي قد لبس لأمة حربه.

الرابع: يقال: الطب لنفس الدواء كقوله:

ألا من مبلـغ حسـان عني أسحركان طبك أم جنـون

الخامس: العادة، يقال ليس ذلك بطبي، أي: عادتي، قال فروة بن مسيك:

فما إن طبنـا جبن ولكـن منـايانا ودولـة آخـرينا

وقال أحمد بن الحسين:

وما التيه طــبي فيهمـو غــير أنــني بغيـض إلى الجاهل المتغافل

وقول الحماسي:

فإن كنت مطبوبًا فلا زلت هكذا

وإن كنت مسحورًا فلا برئ السحر

أراد بالمطبوب: المسحور، وبالمسحور: العليل المـريض. قـال الجوهري: ويقال للعليل مسحور، وأنشد هذا البيت، ومعناه: يعني إن كان هذا الذي قد عراني منك ومن حبك أسـأل الله دوامـه، ولا أريد زواله، سواءً كان سحرًا أو مرضًا، والطب بفتح الطاء: العـالم بالأمور وكذلك الطبيب يقال له طب طب أيضًا، وبضم الطــاء اسم موضع وأنشد بعضهم:

فقلت هل انْهلتم بطب ركـابكم بجـائزة المـاء الـتي طـاب

طبيها

أما علاج المسحور فإما باستخراجه وتبطيله كما في الخـبر فهو كإزالة المادة الخبيثة بالإستفراغ، وأما بالإستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر فـإن للسـحر تـأثيرًا عند جمهـور العلمـاء لا مجرد خيال باطل لا حقيقة له، وللمسألة وأحكام السحر والساحر مسائل مشهورة ليس هذا محلها.

وقد روى أبوعبيد في "الغـريب" بإسـناده عن عبـدالرحمن بن أبي ليلى أن النـبي صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم إحتجم على رأسه بقرن حين طب، قال أبوعبيد: معنى طب سحر.

قـال بعضـهم: إنتهت مـادة هـذا السـحر إلى رأسه إلى إحـدى قـواه الـتي فيـه، بحيث أنه كـان يخيل إليه أنه يفعل الشـيء ولم يفعله.

والسـحر مـركب من تـأثيرات الأرواح الخبيثـة، وانفعـال القـوى الطبيعية عنــه، وهو ســحر النمريجــات، وهو أشد ما يكــون من السحر، فاستعمال الحجامة على المكان الذي تضرر بالسحر على ما ينبغي من أنفع المعالجة.

قال أبقراط: الأشياء التي ينبغي أن تسـتفرغ يجب أن تسـتفرغ من المواضع الــــتي هي إليها أمثل بالأشـــياء الـــتي تصـــلح لاستفراغها، وقـال بعضـهم: لما وقع للنـبي صـلى الله عليه وعلى آله وسلم هذا إنه عن مادة دموية أو غيرها مالت إلى جهة الدماغ وغلبت عن البطن المقدم منه فغـيرت مزاجه عن طبيعتـه، وكـان

اســـتعمال الحجامة حينئذ من أنفع المعالجـــة، وكـــان ذلك قبل الوحي، فلما جـاءه الـوحي أنه سـحر عـدل إلى العلاج الحقيقي، وهو اسـتخراج السـحر وإبطاله فـدعا الله فأعلمه به فاسـتخرجه وكـان غاية هـذا السـحر إنما هو في جسـده وظـاهر جوارحه لا على عقله وقلبــه، وما ورد من التخيّل فهو بالبصر لا تخيل يطـرق إلى العقــل، ولــذلك لم يكن يعتقد صــحة ما يميل اليه من إتيانه النســـاء، بل يعلم أنه خيـــال، وقد يحـــدث مثل هـــذا عن بعض الأمراض.ومن أعظم ما يتحصن به من السحر ومن أنفع علاج له بعد وقوعه التوجه إلى الله ســـــبحانه وتعـــــالى وتوكل القلب والإعتماد عليه والتعـوذ والـدعاء، وهـذا وهـذا هو السـبب الـذي الــذي لم يصح عن النــبي صــلى الله عليه وعلى آله وســلم أنه استعمل شيئًا قبله، بل قد يقال: لم يصح أنه استعمل شيئًا غـيره، وهو الغاية القصــوى، والنهاية العظمى ولهــذا في الخــبر أنه لم يخرجه وإنما دفنه لئلا يفضي ذلك إلى مفســـدة وانتشـــارها، لا لتوقف الشفاء والعافية عليه وهذا واضح إن شاء الله.

وعند السـحرة أن سـحرهم إنما يتم في قلب ضـعيف منفعل ونفس شهوانية كجاهل وصبي وامرأة، لا في قلب متيقظ عــارف بالله له معاملة وتوجه لأن القلب الضـــــــــعيف فيه ميل وتعلق فيتسلط عليه بذلك، فالأرواح الخبيثة. فـالأرواح الخبيثة تسـلط عليه بميله إلى ماياسبها وفراغه عما يعرضها ويقاومها. والله أعلم.

قال بعض الأطباء إذا سـنع من قضـبان الآراك خلخـالاً للعضد

منع السحر.

رد أهل العلم على الطاعنين في الحديث

1- قـــال ابن قتيبة رحمه الله في "تأويل مختلف الحـــديث" (177):

قالوا: حديث تكذبه حجة العقل والنظر.

قـالوا: رويتم أن رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم سحر وجعل سـحره في بـئر ذي أروان، وأنّ عليًـا كـرم الله وجهه اسـتخرجه، وكلّما حل منه عقـدة وجد النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسلم خفة فقـام النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم كأنما أنشط من عقال.

وهـذا لا يجـوز على نبي الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم، لأنّ السحر كفر، وعمل من أعمال الشيطان فيما يـذكرون، فكيف يصل إلى النبي صـــلى الله عليه وعلى آله وســـلم مع حياطة الله تعالى له وتسديده إيـاه بملائكته وصـونه الـوحي عن الشـيطان؟ والله تعـــالى يقـــول في القرآن: {لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[1]}. وأنتم تزعمون أنّ الباطل ههنا هو الشيطان.

وقـال: {عـالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحـدًا إلاّ من ارتضى من رسول فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا[2]} أي: يجعل بين يديه وخلفه رصدًا من الملائكه يحفظونه ويصـــونون الـــوحي

---

1 سورة فصلت، الآية: 42.

2 سورة الجن، الآية: 26.

عن أن يدخل فيه الشيطان ما ليس منه.

وذهبوا في السحر إلى أنه حيلة يصرف بها وجه المرء عن أخيه، ويفرق بها بين المرء وزوجه، كالتمائم والكذب، وقالوا: هذه رقى، ومنه السم يسقاه الرجل فيقطعه عن النساء ويغيّر خلقه وينثر شعره ولحيته. وإلى أنّ سحرة فرعون خيلوا لموسى عليه السلام ما أروه.

قالوا: ومثل ذلك أن نأخذ الزئبق فنفرغه في وعاء كالحيّة ثم نرسله في موضع حارّ فينساب انسياب الحيّة.

قالوا: ومن الدليل على ذلك قول الله تعالى: {فإذا حبالهم وعصيّهم يخيّل إليه من سحرهم أنّها تسعى[1]}. إنما هو تخييل، وليس ثم شيء على حقيقته.

وقالوا في قول الله تعالى: {واتّبعوا ما تتلو الشّياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكنّ الشّياطين كفروا يعلّمون النّاس السّحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت[2]}. هو بمعنى النفي. أي: لم ينْزل ذلك.

وقالوا: الملكين: بكسر اللام. وذكروا عن الحسن أنه كان يقرؤها كذلك، ويقول: علجان من أهل بابل.

قال أبومحمد: ونحن نقول: إنّ الذي يذهب إلى هذا، مخالف للمسلمين واليهود والنصارى، وجميع أهل الكتب ومخالف للأمم

---

1 سورة طه، الآية: 66.

2 سورة البقرة، الآية: 102.

كلهـا، الهند وهي أشـدها إيمانًـا بـالرقى، والـروم والعـرب في الجاهلية وفي الإسلام، ومخالف للقرآن معاند له بغـير تأويل، لأن الله جل وعز قـال لرسـوله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم: {قل أعوذ بـربّ الفلق من شـرّ ما خلق ومن شـرّ غاسق إذا وقب ومن شـرّ النّفّاثـات في العقد} فأعلمنا أن السـواحر ينفثن في عقـد يعقدنها كما يتفل الراقي والمعوّذ.

وكانت قريش تسمي السحر: العضـه. ولعن رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم العاضـهة والمستعضـهة[1]. يعني بالعاضهة: الساحرة. وبالمستعضهة: التى تسألها أن تسحر لها.

وقال الشاعر:

أعوذ بربي من النافثات في عقد العاضه المعضه

يعني السواحر.

وقد روى ابن نمـير عن هشـام بن عـروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، وهذا طريق مرضي صحيح، أنّه قال: حين سـحر: ((جـاءني رجلان فجلس أحـدهما عند رأسي والأخر عند رجليّ. فقال أحدهما: ما وجع الّرجل؟ قال: مطبـوب. فقـال: من طبّـه؟ قـال: لبيد بن الأعصـم. قـال: في أيّ شيء؟ قـال في: مشط ومشـاطة وجفّ طلعة ذكـر. قـال: وأين هـو؟ قـال: في بـئر ذي أروان)).

وليس هذا مما يجتر الناس به إلى أنفسهم نفعًـا ولا يصـرفون

---

1 ينظر من أخرجه وما حاله.

عنها ضرًا ولا يكسبون به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثناءً ومدحًا، ولا حملة هذا الحديث كذابين ولا متهمين ولا معادين لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وما ينكر أن يكون لبيد بن الأعصم هذا اليهودي سحر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد قتلت اليهود قبله زكرياء بن آذن في جوف شجرة قطعته قطعًا بالمناشير.

وذكر وهب بن منبه أو غيره أنه عليه السلام لما وصل المنشار إلى أضلاعه أنّ، فأوحى الله تعالى إليه: إمّا أن تكف عن أنينك وإما أن أهلك الأرض ومن عليها. وقتلت بعده ابنه يحيى بقول بغيّ واحتيالها في ذلك[1].

ولو لم يقل الله تعالى: {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم[2]} لم نعلم نحن أن ذلك شبهه، لأن اليهود أعداؤه، وهم يدّعون ذلك، والنصارى أولياؤه وهم يقرّون لهم به. وقتلت الأنبياء وطبختهم وعذّبتهم أنواع العذاب، ولو شاء الله جل وعز لعصمهم منهم.

وقد سمّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في شاة مشوية سمته يهودية، فلم يزل السم يعاوده حتى مات.

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((مازالتْ أكلة خيبر

---

1 هذه من الإسرائيليات، وأين السند إلى زكريا وابنه يحيى عليهما السلام.

2 سورة النساء، الآية: 157.

تعاودني، فهذا أوان انقطـاع أبْهري[1])) فجعل الله تعـالى لليهودية عليه السبيل حتى قتلته.

ومن قبل ذلك ما جعل الله لهم السـبيل على النـبيّين. والسـحر أيسر خطبًا من القتل والطبخ والتعذيب.

فـإن كـانوا إنما أنكـروا ذلك لأن الله تعـالى لا يجعل للشـيطان على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سبيلاً ولا على الأنبيـاء، فقد قرءوا في كتاب الله تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسـول ولا نـبيّ إلاّ إذا تمنّى ألقى الشّـيطان في أمنيّته[2]}. يريـد: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته، يعزيه عما ألقاه الشـيطان على لسـانه حين قـرأ في الصـلاة: تلك الغرانيق العلى، وإن شـفاعتهن ترتجى[3].

غير أنه لا يقدر أن يزيد فيه أو ينقص منه.

أما تسمعه يقول: {فينسخ الله ما يلقي الشّـيطان ثمّ يحكم الله ءاياته}أي: يبطل ما ألقاه الشيطان.

ثم قـال: {ليجعل ما يلقي الشّـيطان فتنـةً للّـذين في قلـوبهم مرض}.

وكذلك قوله في القرآن: {لا يأتيه البـاطل من بين يـديه ولا من

1 أخرجه البخـاري (ج7 ص737) معلقًـا، قـال الحافظ في "الفتح" : وصله البزار والحاكم والإسماعيلي.

2 سورة الحج، الآية: 52.

3 راجع ما كتبه الشـيخ ناصر الـدين الألباني حفظه الله، حـول هـذه القصة في كتابه "نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق".

خلفه[1]} أي: لا يقدر الشيطان أن يزيد فيه أولاً ولا آخرًا.

قال أبومحمد: حدثني أبوالخطاب قال: نا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((إنّ جبريل عليه السّلام أتاني فقال: إنّ عفْريتًا من الجنّ يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فقل: {الله لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم} حتى تختم آية الكرسي[2].

وقد حكى الله تعالى عن أيوب صلى الله عليه وسلم فقال: {أنّي مسّني الشّيطان بنصب وعذاب[3]}.

قال أبومحمد: وأما قولهم في السحر الذي رآه موسى صلى الله عليه وسلم: إنه تخييل إليه، وليس على حقيقته، فما ننكر هذا ولا ندفعه، وإنا لنعلم أن الخلائق كلها لو اجتمعوا على خلق بعوضة لما استطاعوا، غير أنا لا ندري أهو بالزئبق الذي ادعوا أنّهم جعلوه فى سلوخ الحيات حتى جرت أم بغيره. ولا يعلم حقيقة هذا إلا من كان ساحرًا، أو من سمع فيه شيئًا من السحرة.

وأما قولهم في قول الله تبارك وتعالى: {واتّبعوا ما تتلو الشّياطين على ملك سليمان} ثم قال: {يعلّمون النّاس السّحر وما أنزل على الملكين}.

---

1 سورة فصلت، الآية: 42.

2 مرسل، والمرسل من قسم الضعيف، لكن جاء فضل قراءة آية الكرسي في "الصحيحين".

3 سورة ص، الآية: 41.

إن تأويله: ولم ينْزل على الملكين ببابل، فليس هــذا بمنكر من تأويلاتهم المستحيلة المنكوسة.

فإذا كـان لم ينْـزل على الملكين ببابل هـاروت ومـاروت، صـار الكلام فضلاً لا معنى لـه، وإنما يجـوز بـأن يدّعي مدّع أن السـحر أنزل على الملكين ويكون فيما تقدم ذكر ذلك أو دليل عليه فيقول الله تعالى: اتبعوا ذلك، ولم ينْزل على الملكين كما ذكروا.

ومثال هذا أن يقول مبتدئًا علّمت هذا الرجل القرآن، وما أنـزل على موســى عليه الســلام، فلا يتوّهم ســامع هــذا أنك أردت أن القرآن لم ينْــزل على موسى عليه الســلام لأنه لم يتقدمه قــول أحد: إنه أنزل على موسى عليه السلام، وانما يتوّهم السـامع أنك علّمته القرآن والتـوراة، وتأويل هـذا عنـدنا مـبيّن بمعرفة الخـبر المروي فيه، وجملته -على ما ذكر ابن عبـاس- أن سـليمان صـلى الله عليه وســلم لما عــوقب وخلفه الشــيطان في ملكه، دفنت الشـياطين في خزانته وموضع مصـلاه سـحرًا وأخذًا ونيرنجـات، فلما مات سـليمان صـلى الله عليه وسـلم، جـاءت الشـياطين إلى الناس فقالوا: ألا ندلكم على الأمر الذي سخّرت به لسليمان الريح والجن، ودانت له به الإنس؟ قــالوا: بلى، فــأتوا مصــلاه وموضع كرسيه فاستخرجوا ذلك منه.

فقال العلماء من بني إسرائيل: ما هـذا من دين الله، وما كـان سـليمان سـاحرًا، وقـال سـفلة النـاس: سـليمان كـان أعلم منا فسـنعمل بهـذا كمـا عمـل، فقـال الله تعـالى: {واتّبعـوا ما تتلو

الشّـــياطين على ملك ســـليمان}. أي: اتبعت اليهـــود ما ترويه الشياطين. والتلاوة والرواية شيء واحد.

ثم قـال: {وما كفر سـليمان ولكنّ الشّـياطين كفـروا يعلّمـون النّـاس السّـحر وما أنـزل على الملكين} وهما ملكـان أهبطا إلى الأرض حين عمل بنو آدم بالمعاصـي ليقضـيا بين النـاس، وألقي في قلوبهما شـهوة النسـاء وأمـرا أن لا يزنيا، ولا يقتلا، ولا يشـربا خمرًا، فجاءتْهما الزهرة تخاصم إليهما فأعجبتهما، فأراداها، فأبت عليهما حتى يعلماها الاسم الـــذى يصـــعدان به إلى الســـماء، فعلماها، ثم أراداها فأبت، حـتى يشـربا الخمر، فشـرباها وقضـيا حاجتهما، ثم خرجا فرأيا رجلاً فظنا أنه قد ظهر عليهما فقتلاه، وتكلّمت الزهـــرة بـــذلك الاسم فصعدت فخنست، وجعلها الله شـــهابًا، وغضب الله تعـــالى على الملكين فســـماهما: هـــاروت وماروت، وخيّرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة، فاختارا عـذاب الدنيا[1].

فهما يعلمان النـاس ما يفرّقـون به بين المـرء وزوجـه، والذي أنزل الله عز وجل على الملكين فيما يـرى أهل النظر -والله أعلم- هو الاسم الأعظم الذي صعدت به الزهرة.

وكانا -قبلها وقبل الســخط عليهمــا- يصــعدان إلى الســماء، فعلّمته الشياطين فهي تعلمه أولياءها وتعلمهم السحر.

وقد يقال: إنّ الساحر يتكلم بكلام فيطير بين السـماء والأرض

---

1 القصة لا تثبت، راجع "تفسير ابن كثير".

ويطفوا على الماء.

قال أبومحمد: حدثني زيد بن أخزم الطائي قال نا عبدالصمد قال نا همام عن يحيى بن كثير[1]: أن عامل عمان كتب إلى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: إنا أتينا بساحرة فألقيناها في الماء فطفت، فكتب إليه عمر بن عبدالعزيز: لسنا من الماء في شيء، إن قامت البينة وإلا فخلّ سبيلها.

وحدثني زيد بن أخزم الطائي قال: نا عبدالصمد قال: نا زيد بن أبي ليلى[2] قال: نا عميرة بن شكير[3] قال: كنا مع سنان بن سلمة بالبحرين فأتي بساحرة فأمر بها فألقيت في الماء فطفت، فأمر بصلبها، فنحتنا جذعًا، فجاء زوجها كأنه سفود محترق، فقال: مرها فلتطلق عني. فقال لها: أطلقي عنه. فقالت: نعم ائتوني بباب وغزل. فقعدت على الباب، وجعلت ترقى الغزل وتعقد، فارتفع الباب، فأخذا يمينًا وشمالاً فلم يقدر عليهما.

وحدثنا أبوحاتم عن الأصمعي قال: أخبرني محمد بن سليم الطائي في حديث ذكره: إنّ الشياطين لا تستطيع أن تغيّر خلقها، ولكنها تسحره.

وحدثني أبوحاتم قال: قال الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء: إنّ الغول ساحرة الجن.

---

1 كذا في الأصل، والصواب: يحيى بن أبي كثير، كما في ترجمة همام بن يحيى العوذي من "تهذيب الكمال".

2 لم أقف له على ترجمة.

3 لم أقف له على ترجمة.

وحدثنا أبوالخطاب قال: نا المعتمر بن سليمان قال: سمعت منصورًا يذكر عن ربعي بن حراش عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ((لأنا أعلم بما مع الدّجّال، إنّ معه نارًا تحْرق، ونهْر ماء بارد، فمن أدركه منكم فلا يهْلكنّ به، وليغمض عينيه وليقعْ في الّتي يراها نارًا، فإنّها نهْر ماء بارد))[4].

وحدثني أبوحاتم عن الأصمعي عن أبي الزناد قال: جاءت امرأة تستفتي فوجدت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد توفّي: ولم تجد إلا امرأة من نسائه يقال: إنّها عائشة رضي الله عنها فقالت لها: ياأم المؤمنين قالت لي امرأة: هل لك أن أعمل لك شيئًا يصرف وجه زوجك إليك؟ وأظنه قال: فأتت بكلبين، فركبت واحدًا وركبْت الآخر فسرنا ما شاء الله. ثم قالت: أتدرين أنك ببابل؟ ودخلت على رجل، أو قالت: رجلين فقالا لها بولي على ذلك الرماد، قالت: فذهبت فلم أبل، ورجعت إليهما، فقالا لي: ما رأيت؟ قالت: ما رأيت شيئًا، قالا: أنت على رأس أمرك. قالت: فرجعت، فتشددت، ثم بلت، فخرج مني مثل الفارس المقنع، فصعد في السماء فرجعت إليهما، فقالا: ما رأيت؟ فأخبرتهما. فقالا: ذلك إيمانك قد فارقك. فخرجت إلى المرأة فقلت: والله ما علماني شيئا، ولا قالا لي كيف أصنع. قالت: فما

---

4 الحديث صحيح رجاله رجال الصحيح، إلا أبا الخطاب وهو زياد بن يحيى الحساني، كما في ترجمة المعتمر بن سليمان من "تهذيب الكمال", وقد قال الحافظ فيه: ثقة. والحديث أخرجه البخاري برقم (3450) ، ومسلم برقم (7295).

رأيت؟ قلت: كذا، قالت: أنت أسحر العرب، عملي وتمني. قالت: فقطعت جداول وقالت: احقل، فإذا هو زرع يهتز. فقالت: أفرك فإذا هو قد يبس.

قالت: فأخذته ففركتْه وأعطتْنيه، فقالت: جشّي هذا واجعليه سويقًا وأسقيه زوجك فلم أفعل شيئًا من ذلك، وانتهى الشأن إلى هذا، فهل لي من توبة؟. قالت: ورأيت رجلاً من خزاعة كان يسكن أمج فقالت: يا أم المؤمنين هذا أشبه الناس بهاروت وماروت[1].

قال أبومحمد : وقد روى هذا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها.

قال أبومحمد: وهذا شيء لم نؤمن به من جهة القياس ولا من جهة حجة العقل، وإنما آمنا به من جهة الكتب وأخبار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وتواطؤ الأمم في كل زمان عليه خلا هذه العصابة التي لا تؤمن إلا بما أوجبه النظر، ودل عليه القياس فيما شاهدوا ورأوا.

وأما قول الحسن: إنّهما علجان من أهل بابل وقراءته ((الملكين)) بالكسر فهذا شيء لم يوافقه أحد من القراء ولا المتأولين، فيما أعلم، وهو أشد استكراهًا وأبعد مخرجًا. وكيف يجوز أن ينْزل على علجين شيء يفرقان به بين المرء وزوجه.

---

1 قد ذكرت في تخرج "تفسير ابن كثير" أن هذه القصة لا تثبت.

اهـ [2]

2- قـال القاضـي عيـاض رحمه الله في "الشـفاء" (ج2 ص 160) (فصل): فـإن قلت قد جـاءت الأخبـار الصـحيحة أنه صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم سـحر كمـا حـدثنا الشـيخ أبومحمد العتابي بقراءتي عليه، قال نا حاتم بن محمـد نا أبوالحسن علي بن خلف نا محمد بن أحمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبيد بن إسـماعيل نا أبوأسـامة عن هشـام بن عـروة عن أبيه عن عائشة رضـي الله عنها قـالت: سـحر رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم حتّى أنّه ليخيّل إليه أنّه فعل الشّيء وما فعله.

وفي رواية أخرى: حتى كأن يخيل إليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث.

وإذا كـان هـذا من التبـاس الأمر على المسـحور، فكيف حـال النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم في ذلك، وكيف جـاز عليه وهو معصوم، فـاعلم وفقنا الله وإيـاك أنّ هـذا الحـديث صـحيح، متفق عليه، وقد طعنت فيه الملحـدة وتـذرّعت به لسـخف عقولها وتلبيسـها على أمثالها، إلى التشـكيك في الشـرع، وقد نزّه الله الشرع والنبي عما يدخل في أمره لبسًا، وإنما السـحر مـرض من الأمراض وعـارض من العلل يجـوز عليه كـأنواع الأمـراض مما لا

---

2 أبومحمد بن قتيبة رحمه الله، دافع عن السـنة بحسب معرفته، والظـاهر أنه قليل البضـاعة في الحـديث، وقد مرّت بي أحـاديث في أثنـاء كلامه لم أتمكن من البحث عنها، فلا يعتمد عليه في ثبوتها، يسر الله لكتابه من يحققه ويخرّج أحاديثه ويحكم عليها، حتى تتم الفائدة.

ينكر ولا يقدح في نبوته.

وأما مـــاورد أنه كـــان يخيل إليه أنه فعل الشـــيء ولا يفعله، فليس في هـــذا ما يـــدخل عليه داخلة في شـــيء من تبليغه أو شريعته، أو يقدح في صدقه لقيام الدليل، والإجماع على عصـمته من هذا، وإنما هذا فيما يجـوز طـروه عليه في أمر دنيـاه التي لم يبعث بسببها، ولا فضّل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفـات كسـائر البشر، فغـــير بعيد أن يخيل إليه من أمورها مـــالا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان، وأيضـًا فقد فسر هـذا الفصـل الحـديث الآخر من قوله حـــتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يـــأتيهن، وقد قـــال سفيان: هذا أشدّ مايكون من السـحر، ولم يـأت فى خـبر منها أنه نقل عنه في ذلك قـول بخلاف ماكـان أخـبر أنه فعله ولم يفعله، وإنما كانت خواطر وتخيلات، وقد قيل: إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشـــيء أنه فعله وما فعله، لكنه تخييل لا يعتقد صـــحته، فتكون اعتقاداته كلها على السـداد، وأقواله على الصـحة، هـذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث مع ما أوضحنا من معـنى كلامهم وزدنـاه بيانًـا من تلويحـاتهم، وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطـاعن ذوي الأضاليل، يستفاد من نفس الحديث، وهو أن عبدالرزاق[1] قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعـروة بن الزبـير وقـال فيه عنهما:

---

1 عبدالرزاق في "المصنف" (ج11 ص14) وهو مرسـل، والمرسل من قسم الضعيف، ومن رواية معمر عن الزهري وفيها ضعف.

سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فجعلوه في بئر حتّى كاد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن ينكر بصره ثمّ دلّه الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر.

وروي نحوه عن الواقدي[1] وعن عبدالرحمن بن كعب[2] وعمر بن الحكم[3] وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر[4]: حبس رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم أتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه... الحديث.

قال عبدالرزاق: حبس رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن عائشة خاصّةً سنةً حتّى أنكر بصره.[5]

وروى محمد بن سعد[6] عن ابن عباس: مرض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فحبس عن النّساء والطّعام

---

1 كما في "الطبقات" (ج1 ص197) والواقدي كذاب.

2 نفس المصدر من طريق الواقدي.

3 نفس المصدر من طريق الواقدي.

4 أخرجه عبدالرزاق في "المصنف" (ج14 ص14) وهو مرسل، من مراسيل يحيى بن يعمر، ومن طريق عطاء بن أبي مسلم الخراساني، صدوق يهم كثيرًا ويرسل ويدلس.

5 في "المصنف" (ج11 ص13) وهو من مراسيل يحيى بن يعمر وسعيد بن المسيب كما تقدم.

6 في "الطبقات" (ج2 ص198) والحديث ضعيف جدًا، سبق تخريجه والحكم عليه في حاشية ص(99).

والشّراب فهبط عليه ملكان. وذكر القصة.

فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله، وأنّه إنما أثّر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه، وأضعف جسمه وأمرضه.

ويكون معنى قوله: (يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن)، أي: يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض، ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله: وهذا أشد ما يكون من السحر، ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى: إنّه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله، من باب ما اختل من بصره، كما ذكر في الحديث، فيظن أنه رأى شخصاً من بعض أزواجه أو شاهد فعلاً من غيره، ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره، لا لشيء طرأ عليه في ميزه، وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبساً ولا يجد به الملحد المعترض أنسًا. اهكلامه رحمه الله.

3- وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (ج10 ص226): قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أنه يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس

هو ثم وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء.

قال المازري: وهذا كله مردود، لأن الدليل على صدق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى، وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين. قال: وقد قال بعض الناس إن المراد بالحديث أنه كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن، وهذا كثيرًا ما يقع تخيله للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة.

قلت: وهذا قد ورد صريحًا في رواية ابن عيينة في الباب الذى يلي هذا ولفظه: (حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن) وفي رواية الحميدي: (أنه يأتي أهله ولا يأتيهم).

قال الداودي: يرى بضم أوله، أي: يظن، وقال ابن التين: ضبطت يرى بفتح أوله.

قلت: وهو من الرأي لا من الرؤية، فيرجع إلى معنى الظن، وفي مرسل يحيى بن يعمر عند عبدالرزاق: سحر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن عائشة حتى أنكر بصره. وعنده في مرسل سعيد بن المسيب: حتّى كاد ينكر بصره.

قال عياض: فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده

وظواهر جوارحه، لا على تمييزه ومعتقده.

قلت: ووقع في مرسل عبـدالرحمن بن كعب عند ابن سـعد[1]: فقالت أخت لبيد بن الأعصم: أن يكن نبيًا فسـيخبر، وإلا فسـيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله.

قلت: فوقع الشق الأول، كما في هـذا الحـديث الصـحيح، وقد قال بعض العلماء: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجـــزم بفعله ذلك، وإنما يكـــون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت فلا يبقى على هذا للملحد حجة.

وقـال عيـاض: يحتمل أن يكـون المـراد بالتخييل المـذكور أنه يظهر له من نشــاطه ما ألفه من ســابق عادته من الاقتــدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فـتر عن ذلك، كما هو شـأن المعقـود، ويكون قوله في الرواية الأخرى: حـتى كـاد ينكر بصره، أي: صـار كالذي أنكر بصره بحيث أنه إذا رأى الشيء يخيل إليه أنه على غير صفته، فإذا تأمّله عرف حقيقته، ويؤيد جميع ما تقــدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولا فكان بخلاف ما أخبر به.

وقال المهلب: صون النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم من الشـــياطين لا يمنع إرادتهم كيـــده فقد مضى في الصـــحيح: أنّ شيطانًا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه.

فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصـًا على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كـان يناله من ضـرر سـائر الأمـراض

---

1 (ج1 ص197) من طريق محمد بن عمر الواقدي وهو كذاب.

من ضعف عن الكلام أو عجز عن بعض الفعل أو حدوث تخيل لا يستمر بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين.

واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث: ((أما أنا فقد شفاني الله)) . وفي الاستدلال بذلك نظر، لكن يؤيد المدعى أن في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في "الدلائل" فكان يدور ولا يدري ما وجعه، وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد[1]: مرض النّبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأخذ عن النّساء والطّعام والشّراب فهبط عليه ملكان. الحديث.

4- قال عبدالرحمن المعلمي في "الأنوار الكاشفة" ص(249): وذكر (يعني أبا رية) كلامًا للشيخ محمد عبده في حديث: أنّ يهوديًا سحر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أقول: النظر في هذا في مقامات:

المقام الأول: ملخص الحديث أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في فترة من عمره ناله مرض خفيف، ذكرت عائشة أشد أعراضه بقولها: (حتى كان يرى أنه يأتي أهله ولا يأتيهم) وفي رواية: (حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن).

وفي أخرى: (يخيل إليه كان يفعل الشيء وما فعله). والرواية الأولى فيما يظهر أصح الروايات، فالأخريان محمولتان عليها.

---

1 في "الطبقات" (ج2 ص198) والحديث ضعيف جداً، سبق تخريجه والحكم عليه في حاشية ص(99).

وفي "فتح البـاري" (ج10 ص193): قـال بعض العلمـاء: (لا يلـزم من أنـه يظن أنه فعـل الشـيء و لم يكن فعلـه، أن يجـزم بفعله ذلك وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت).

أقـول: وفي سـياق الحـديث ما يشـهد لهـذا، فـإن فيه شـعوره صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم بـذلك المـرض ودعـاءه ربه أن يشفيه.

فالذي يتحقق دلالة الخـــبر عليه أنه صـــلى الله عليه وعلى آله وسـلم كـان في تلك الفـترة يعـرض له خـاطر أنه قد جـاء إلى عائشة وهو صـــلى الله عليه وعلى آله وســـلم عالم أنه لم يجئها، ولكنه كان يعـاوده ذاك الخـاطر على خلاف عادته، فتـأذّى صـلى الله عليه وعلى آله وسلم من ذلك، وليس في حمل الحـديث على هذا تعسف ولا تكلف.

المقام الثاني: في الحديث عن عائشة: حتّى إذا كان ذات يوم وهو عندي، لكنّه دعا ودعـا، ثمّ قـال: ((يا عائشة أشـعرت أنّ الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان)).(أي: ملكان -كما في رواية أخـرى- في صـورة رجلين)... فقـال أحـدهما لصـاحبه: ما وجع الرّجـل؟ فقـال: مطبـوب، قـال: من طبّـه؟ قـال: لبيد بن الأعصم، قال: في أيّ شـيء؟ قـال: في مشط ومشـاطة وجـفّ طلع نخلة ذكـر، قـال: وأين هـو؟ قـال: في بـئر ذروان)) فأتاها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ناس من أصـحابه، فجاء، قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: ((قد عافاني الله،

فكرهت أن أثير على النّاس شرًّا فأمرت بها فدفنت)).

ومحصل هـذا أن لبيد أراد إلحـاق ضـرر بـالنبي صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم فعمل عملاً في مشط ومشـاطة، الخ. فهل من شأن ذلك أن يؤثر، قد يقال: لا ولكن إذا شاء الله تعالى خلق الأثر عقبه والأقرب أن يقال: نعم بإذن الله، والإذن هنا خـاص. وبيانـه أن الأفعال الـتى من شـأنها أن تـؤثر ضـربان: **الأول:** ما أذن الله تعالى بتأثيره إذنًا مطلقًا ثم إذا شـاء منعه، وذلك كالاتصـال بالنـار مأذون فيه بالإحراق إذنًا مطلقًـا قلما أراد الله تعـالى منعه، قـال: {يانار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم}.

الضرب الثاني: ما هو ممنوع من التأثير منعًا مطلقًا، فإذا اقتضت الحكمة أن يمكّن من التـــأثير رفع المنع فيـــؤثر، وقوله تعالى في السحر: {وما هم بضارّين به من أحد إلاّ بإذن الله} يدل أنه من الضرب الثاني وأن المراد بالإذن، الإذن الخـاص، والحكمة في مصلحة النـاس تقتضى هـذا، والواقع في شـئونهم يشـهد له، وإذا كان هذا حاله فلا غرابة في خفاء وجه التأثير علينا.

المقام الثالث: النظر في كلام الشيخ محمد عبده وفيه ثلاث قضايا: **القضية الأولى:** قال: (فعلى صحته هو آحاد والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد).

أقول: أما صحته فثابتة بإثبات أئمة الحديث لها فإن أراد الصحة فى نفس الأمر فهب أنا لا نقطع بها ولكنا نظنها ظنًـا غالبًـا، وعلى كلا الحالتين فواضعو تلك القاعدة لا ينكـرون أنه يفيد الظن، ومن

أنكر ذلك فهو مكابر، وإذا أفاد الظن فلا مفر من الظن وما يـترتب على الظن، فلم يبق إلا أنه لا يفيد القطع، وهذا حق في كل دليل لا يفيد إلا الظن.

القضية الثانية: أنّه مناف للعصمة في التبليغ، قال: فإنه قد خالط عقله وإدراكه في زعمهم، فإنه إذا خولط في عقله كمـــــا زعمـوا جـاز عليه أن يظن أنه بلغ شـيئًا وهو لم يبلغه أو أنّ شـيئًا ينْـزل عليه وهو لم ينْـزل عليـه.أقـول: أما المتحقق من معـنى الحديث كما قـدمنا في المقـام الأول، فليس فيه ما يصح أن يعـبر عنه بقولك: خولط في عقله. وإنما ذاك خاطر عابر ولو فرض أنه بلغ الظن فهو في أمر خاص من أمور الدنيا، لم يتعـده إلى سـائر أمـور الـدنيا فضلاً عن أمـور الـدين، ولا يلـزم من حدوثه في ذاك الأمر جوازه في ما يتعلق بالتبليغ بل سبيله سبيل ظنه أن النخل لا يحتاج إلى التأبير، وظنه بعد أن صلى ركعتين أنه صلى أربعًا وغـير ذلك من قضـايا السـهو في الصـلاة، وراجع ص(18-19) وفي القرآن ذكر غضب موسـى على أخيه هـارون وأخـذه برأسه لظنه أنه قصر، مع أنه لم يقصر، وفيه قول يعقوب لبنيه لما ذكـروا له ما جرى لابنه الثاني: { بل سوّلت لكم أنفسكم أمـرًا[1]} يتهمهم بتـدبير مكيدة مع أنّهم كـانوا حينئذ أبريـاء صـادقين. وقد يكـون من هـذا بعض كلمـات موسـى للخضـر. وانظر قوله تعـالى في يـونس:

---

1 سورة يوسف، الآية: 18،83.

{فظنّ أن لن نقدر عليه[2]}.

القضية الثالثة: الحديث مخالف للقرآن في نفيه السحر عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعده من افتراء المشركين عليه، مع أن الذي قصده المشركون ظاهر لأنّهم كانوا يقولون: إن الشيطان يلابسه عليه السلام، وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم، وضرب من ضروبه، وهو بعينه أثر السحر الذي ينسب إلى لبيد... وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام، حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، ووبّخهم على زعمهم هذا، فإذًا هو ليس بمسحور قطعًا.

أقول: كان المشركون يعلمون أنه لا مساغ لأن يزعموا أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يفتري -أي: يتعمّد- الكذب على الله عز وجل فيما يخبر به عنه، ولا لأنه يكذب في ذلك مع كثرته غير عامد فلجأوا إلى محاولة تقريب هذا الثاني بزعم أنه له اتصال بالجن، وأن الجن يلقون إليه ما يلقون فيصدقهم ويخبر الناس بما ألقوه إليه، هذا مدار شبهتهم وهو مرادهم بقولهم: به جنّة. مجنون، كاهن، ساحر، مسحور، شاعر، كانوا يزعمون أنّ للشعراء قرناء من الجن تلقي إليهم الشعر، فزعموا أنه شاعر، أي: أنّ الجن تلقي إليه كما تلقي إلى الشعراء ولم يقصدوا أنه يقول الشعر، أو أنّ القرآن شعر.

إذا عرف هذا فالمشركون أرادوا بقولهم: {إن تتّبعون إلاّ رجلاً

---

2 سورة الأنبياء، الآية: 87.

مسحورًا} أنّ أمر النبوة كله سحر، وأن ذلك ناشئ عن الشياطين استولوا عليه -بزعمهم- يلقون إليه القرآن ويأمرونه وينهونه، فيصدقهم في ذلك كله ظانًا أنه أنما يتلقى من الله وملائكته، ولا ريب أن الحال التي ذكر في الحديث عروضها له صلى الله عليه وعلى آله وسلم لفترة خاصة ليست هي هذه التي زعمها المشركون ولا هي من قبيلها في شيء من الأوصاف المذكورة، إذن تكذيب القرآن وما زعمه المشركون لا يصح أن يؤخذ منه نفيه لما في الحديث.

فإن قيل: قد أطلق على تلك الحالة أنه سحر ففي الحديث عن عائشة سحر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجل... والسحر من الشياطين، وقد قال الله تعالى للشيطان: {إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان}.

قلت: أما الذى أخبر به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الملك فإنما سماها طبًا كما مر في الحديث، وقد أنشد ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة" (ج3 ص408):

فإن كنت مطبوبًا فلا زلت هكذا

وإن كنت مسحورًا فلا برأ للسحر

وأقل ما يدل عليه هذا أن الطب أخص من السحر، وأنّ من الأنواع التي يصاب بها الإنسان ويطلق عليها سحرًا ما يقال له: طب. وما لا يقال طب، وعلى كل حال فالذي ذكر في الحديث ليس من نوع ما زعمه المشركون ولا هو من ملابسة الشيطان،

وإنما هو أثر نفس الســاحر وفعله، وقد قدمت أن وقــوع أثر ذلك نادر، فلا غرابة في خفاء تفسيره وهذا يغني عما تقدم. اهـ

5- ابن مفلح في "الآداب الشرعية" كما تقدم.

6- والخطابي كما تقدم وكما في "شرح الســنة للبغــوي" (ج6 ص279).

وللشيخ الفاضل أحمد شاكر رحمه الله كلام حسن في توجعه من بعض معاصـــــريه في تهجّمه على كتب الســـــنة بالهوى، قــال رحمه الله في الكلام على حــديث أبي هريــرة: ((إذا وقع الذباب في إناء أحدكم)) (ج12 ص124) من تحقيق المسند: وهــذا الحــديث مما لعب فيه بعض معاصــرينا ممن علم وأخطأ وممن علم وعمد إلى عداء السنة وممن جهل وتجرّأ.

فمنهم من حمل على أبي هريــرة وطعن في روايته وحفظه، بل منهم من جــرؤ على الطعن في صــدقه فيما يــروي حــتى غلا بعضهم فــزعم أن في الصــحيحين أحــاديث غــير صــحيحة، إن لم يــزعم أنّها لا أصل لها، بما رأوا من شــبهات في نقد بعض الأئمة لأسانيد قليلة فيهما، فلم يفهموا اعتراض أولئك المتقــدمين الــذين أرادوا بنقدهم أنّ بعض أســانيدهما خارجة عن الدرجة العليا من الصحة التى التزمها الشيخان لم يريدوا أنّها أحاديث ضعيفة قط.

ومن الغريب أن هذا الحديث بعينه -حديث الذباب- لم يكن مما إســتدركه أحد من أئمة الحــديث على البخــاري، بل هو عنــدهم

جميعًا مما جاء على شرطه في أعلى درجات الصحة.

ومن الغـريب أيضـًا أنّ هـؤلاء الـذين حملـوا على أبي هريـرة على علم كثير منهم بالسنة وسعة اطلاعهم رحمهم الله، غفلـوا أو تغافلوا عن أنّ أبا هريرة رضى الله عنه لم ينفـرد بروايته بل رواه أبوسعيد الخدري أيضـًا عن النبي صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم عند أحمد في "المســند" (11207،11666) والنسائي (ج2 ص 193) وابن ماجة (ج2 ص185) والبيهقي (ج1 ص253)ـ بأسـانيد صحاح، ورواه أنس بن مالك أيضًا، كما ذكـره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (ج5 ص 38) وقال: رواه البزار ورجـاله رجـال الصحيـح، ورواه الطـبراني في "الأوسط" وذكره الحافظ في "الفتح" (ج10 ص213) وقال: أخرجه البزار ورجاله ثقات.

فأبوهريرة لم ينفرد برواية هذا الحديث عن رسـول الله صـلى الله عليه وعلى آله وســـلم ولكنه انفـــرد بالحمل عليه منهم بما غفلوا أنه رواه اثنان غيره من الصحابة.

والحق أنه لم يعجبهم هـذا الحـديث لما وقر في نفوسـهم من أنه ينافي المكتشفات الحديثة من المكروبات ونحوها، وعصـمهم إيمانهم عن أن يجرؤا على المقام الأسمى فاستضعفوا أباهريرة.

والحق أيضـًا أنّهم آمنـوا بهـذه المكتشـفات الحديثة أكـثر من إيمـانهم بـالغيب ولكنهم لا يصـرحون ثم اختطـوا لأنفسـهم خطة عجيبةً: أن يقـدموها على كل شيء وأن يؤلـوا القرآن بما يخرجه عن معـنى الكلام العـربي إذا ما خـالف ما يسـمونه (الحقـائق

العلمية) وأن يـردوا من السـنة الصحيحة ما يظنـون أنه يخـالف حقـائقهم هـذه، افـتراءً على الله وحبًـا في التجديد، بل إن منهم لمن يـؤمن ببعض خرافـات الأوربـيين، وينكر حقـائق الإسـلام أو يتأولها، فمنهم من يؤمن بخرافات استحضار الأرواح، وينكر وجـود الملائكة والجن بالتـأول العصري الحـديث، ومنهم من يـؤمن بأسـاطير القـدماء وما ينسب إلى القديسـين والقديسـات، ثم ينكر معجزات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسـلم كلها، ويتـأول ما ورد في الكتـاب والسـنة من معجـزات الأنبيـاء السـابقين يخرجونها عن معـنى الإعجاز كله وهكـذا وهكـذا.. وفي عصـرنا هـذا صـديق لنا كـاتب قـدير أديب جيد الأداء، واسع الأطلاع، كنا نعجب بقلمه وعلمه واطلاعه، ثم بـدت منه هنـات وهنـات على صـفحات الجرائد والمجلات في الطعن على السـنة والازراء برواتها من الصحابة فمن بعـدهم، يستمسك بكلمـات للمتقـدمين فى أسانيد معينة يجعلها -كمـا يصـنع المستشـرقون- قواعد عامة يوسع من مداها ويخرج بها عن حدها الذي أراده قائلوها، وكانت بيننا في ذلك مساجلات شفوية ومكاتبات خاصة، حرصًا مني على دينه وعلى عقيدته.

ثم كتب في إحـدى المجلات -منذ أكـثر من عـامين- كلمةً على طريقته التي ازداد فيها إمعانًـا وغلوًا، فكتبت له كتابًـا طـويلاً في شهر جمادى الأولى سنة (1370) كان مما قلت له فيه من غير أن أسميه هنا، أو أسمي المجلة التى كتب فيها قلت له: وقد قرأت لك

منذ أسـبوعين تقريبًـا كلمة في مجلـة... لم تـدع فيها ما وقر في قلبك من الطعن في روايات الحديث الصـحيحة، ولست أزعم أني أستطيع إقناعك أو أرضي إحراجك بالإقلاع عما أنت فيه.

وليتك -يا أخي- درست علـوم الحـديث وطـرق روايته، دراسةً وافيةً غير متأثرٍ بسخافات (فلان) رحمه الله وأمثاله، ممن قلـدهم وممن قلـدوه، فـأنت تبحث وتنقّب على ضـوء شـيء اسـتقر في قلبك من قبل، لا بحثًـا حرًا خاليًـا من الهـوى، وثق أني لك ناصح أمين، لا يهمني ولا يغضـبني أن تقـول في السـنة ما تشـاء فقد قـرأت من مثل كلامك أضـعاف ما قـرأت، ولكنـك تضـرب الكلام بعضه ببعض، وثق -يا أخي- أن المستشرقين فعلوا مثل ذلك في السـنة، فقلت مثل قـولهم وأعجبك رأيهم، إذ صـادف منك هـوىً، ولكنك نسـيت أنّهم فعلـوا مثل ذلك وأكـثر منه في القرآن نفسه، فما ضار القرآن ولا السنة شيء مما فعلوا، وقبلهم قـام المعتزلة وكثـير من أهل الـرأي والأهـواء، ففعلـوا بعض هـذا أو كله، فما زادت السنة إلا ثبوتًا كثبوت الجبال، وأتعب هؤلاء رؤوسهم وحدها وأوهموهـا، بل لم نر فيمن تقدّمنا من أهل العلم من اجـترأ على ادعـاء أن في الصـحيحين أحـاديث موضـوعة فضلاً عن الإيهـام والتشنيع الذى يطويه كلامك، فيوهم الأغرارِ أن أكثر ما في السـنة موضـوع، هـذا كلام المستشـرقين، غاية ما تكلم فيه العلمـاء نقد أحاديث فيهما بأعيانها لا بادّعاء وضـعها والعيـاذ بالله، ولا بادّعـاء ضـعفها، إنما نقـدوا عليهما أحـاديث ظنـوا أنّها لا تبلغ في الصـحة

الذروة العليا التي التزمها كل منهما.

وهـذا مما أخطـاء فيه كثـير من النـاس، ومنهم أسـتاذنا السـيد رشيد رضا رحمه الله، على علمه بالسـنة وفقهه، ولم يسـتطع قط أن يقيم حجته على ما يرى، وأفلتت منه كلمـات يسـمو على علمه أن يقع فيها، ولكنه كـان متـأثرًا أشد الأثر بجمـال الـدين ومحمد عبـده وهما لا يعرفـان في الحـديث شـيئًا، بل كـان هو بعد ذلك أعلم منهما وأعلى قـدمًا وأثبت رأيًـا، لـولا الأثر البـاقي في دخيلة نفسه، والله يغفر لنا وله.

وما أفضت لك في هــذا إلا خشــيةً عليك من حســاب الله، أما النـاس في هـذا العصر فلا حسـاب لهم، ولا يقدّمون في ذلك ولا يؤخرون، فإن التربية الإفرنجية الملعونة جعلتهم لا يرضون القرآن إلا على مضض، فمنهم من يصـــرح، ومنهمم من يتـــأول القرآن والسـنة ليرضـي عقله الملتوي، لا ليحفظهما من طعن الطـاعنين فهم على الحقيقة لا يؤمنــون ويخشــون أن يصــرحوا فيلتــوون وهكذا هم، حتى يأتي الله بأمره، فاحـذر لنفسك من حسـاب الله يوم القيامة، وقد نصحتك وما آلوت والحمد لله.

وأما الجــاهلون الأجريــاء فــإنّهم كــثر في هــذا العصر، ومن أعجب ما رأيت من سخافاتهم وجرأتهم أن يكتب طبيب في إحدى المجلات الطبية فلا يرى إلا أن هذا الحديث لم يعجبه، وأنه ينـافي علمه، وأنه رواه مؤلف اسـمه البخـاري، فلا يجد مجـالاً إلا الطعن في هذا البخاري ورميه بالافتراء والكـذب على رسـول الله صـلى

الله عليه وعلى آله وسلم . وهو لا يعرف عن البخاري هـذا شـيئًا، بل لا أظنه يعرف اسمه ولا عصره ولا كتابه، إلا أنه روى شيئًا يراه هو بعلمه الواسع غير صحيح فافترى عليه ما شاء، مما سيحاسب عليه بين يدي الله حسابًا عسيرًا.

ولم يكن هــؤلاء المعترضــون المجــترئون أول من تكلم في هذا، بل سبقهم من أمثالهم الأقدمون، ولكن أولئك كانوا أكثر أدبًـا من هؤلاء. فقال الخطابي في "معـالم السـنن" رقم(3695) من "تهذيب السنن": وقد تكلم في هذا الحديث بعض من لا خلاق له. وقال: كيف يكون هذا ؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء في جنــاحي الذبابة، وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الـداء وتـؤخر جناح الشفاء وما أربها في ذلك.

قلت: (القائل الخطابي): وهـذا سـؤال جاهل أو متجاهل، وإن الذى يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحــرارة والــبرودة والرطوبة واليبوسة وهي أشــياء متضــادة إذا تلاقت تفاســدت، ثم يــرى أن الله ســبحانه قد ألّــف بينها وقهرها على الاجتماع، وجعل منها قــوى الحيــوان الــتى بها بقاؤها وصــلاحها لجدير أن لا ينكر اجتمـاع الـداء والشـفاء في جـزءين من حيـوان واحد، وأن الـذى ألهم النحلة أن تتخذ الـبيت العجيب الصـنعة وأن تعسل فيه وألهم الــذرة أن تكتسب قوتها وتــدخره لأوان حاجتها إليه، هو الذي خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقـدم جناحًـا وتــؤخر جناحًــا لما أراد الله من الابتلاء الــذي هو مدرجة التعبد،

والامتحان الذي هو مضمار التكليف، وفي كل شيء عبرة وحكمة وما يذّكر إلا أولوا الألباب.

وأما المعنى الطبي فقال ابن القيم -في شأن الطب القديم- في "زاد المعاد" (ج3 ص210-211): واعلم أن في الذباب قوة سمية، يدل عليها الورم والحكة العارضة من لسعه، وهى بمنْزلة السلاح فإذا سقط فيما يؤذية اتقاه بسلاحه فأمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله في جناحه الآخر من الشفاء، فيغمس كله في الماء والطعام، فيقابل المادة السمية بالمادة النافعة، فيزول ضررها، وهذا طب لا يهتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم، بل هو خارج من مشكاة النبوة، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا إلعلاج ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنه مؤيد بوحي إلهي خارج عن القوى البشرية.

وأقول -في شأن الطب الحديث- إن الناس كانوا ولا يزالون تقذر أنفسهم الذباب، وتنفر مما وقع فيه من طعام أو شراب، ولا يكادون يرضون قربانه، وفي هذا من الإسراف -إذا غلا الناس فيه- شيء كثير ولا يزال الذباب يلح على الناس في طعامهم وشرابهم، وفي نومهم ويقظتهم، وفي شأنهم كله، وقد كشف الأطباء والباحثون عن المكروبات الضارة والنافعة وغلو غلوًا شديدًا في بيان ما يحمل الذباب من مكروبات ضارة، حتى لقد كادوا يفسدون على الناس حياتهم لو أطاعوهم طاعة حرفيّة

تامة، وإنا لـنرى بالعيـان أن أكـثر النـاس تأكل مما سـقط عليه الذباب، وتشرب فلا يصيبهم شيء إلا في القليل النـادر، ومن كـابر في هذا فإنما يخدع الناس ويخدع نفسه، وإنا لنرى أيضًا أن ضـرر الذباب شديد حين يقع الوباء العام لا يماري في ذلك أحد، فهنـاك إذن حـالان ظاهرتـان بينهما فـروق كبـيرة، أما حـال الوبـاء فمما لاشك فيه أن الاحتياط فيها يدعو إلى التحرز من الـذباب وأضـرابه مما ينقل المكروب أشد التحرز، وأما إذا عدم الوباء وكانت الحيـاة تجري على سننها فلا معنى لهذا التحرز، والمشـاهدة تنفي ما غلا فيه من إفسـاد كل طعـام أو شـراب وقع عليه الـذباب، ومن كـابر في هـذا فانما يجـادل بـالقول لا بالعمل، ويطيع داعي الـترف والتـأنّق وما أظنه يطبّـق ما يـدعو إليه تطبيقًـا دقيقًـا، وكثـير منهم يقولون ما لا يفعلون.اهـ

مسألة

وتعلم السحر كفر قال الله تعـالى: {واتّبعـوا ما تتلو الشّـياطين على ملك سـليمان وما كفر سـليمان ولكنّ الشّـياطين كفـروا يعلّمـون النّـاس السّـحر وما أنـزل على الملكين ببابل هـاروت ومـاروت وما يعلّمـان من أحد حتّى يقـولا إنّما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلّمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه وما هم بضـارّين به من أحد إلاّ بـإذن الله ويتعلّمـون ما يضـرّهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شـروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون}.

وقال البخـاري رحمه الله (ج5 ص393): حـدثنا عبـدالعزيز بن عبدالله قـال حـدثنا سـليمان بن بلال عن ثـور بن زيد المدني عن أبي الغيث عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ((اجتنبوا السّبْع الموبقات)) قالوا: يا رسـول الله وما هنّ؟ قـال: ((الشّـرك باللـه، والسّـحر، وقتل النّفس الّـتي حرّم الله إلا بـالحقّ، وأكل الرّبـا، وأكل مـال اليـتيم، والتّـولّي يـوم الزّحْف، وقذف المحصنات المؤمنـات الغـافلات)). والحـديث ليس صـريحًا في أنّ متعلّم السـحر كـافر، وتكفي الآية، ويسـتأنس بالحديث معها. والله أعلم.

الخاتمة

قد عرضت عليـك بعض ردود أهل العلم على الطـاعنين في حديث السـحر، وعرضت بعض آراء محمد رشـيد رضا المنحرفـة، وكشفت لك عن تلبيس تستّره بالسـلفية، وما لم أذكـره أكـثر، فهو يشكّك في حديث رجوع الشمس من مغربها، وهو يقول: إن ذكر القرآن بعض الخوارق، هو الذي صد أحرار الإفرنج عن الإسـلام. ذكر هـذا صـاحب "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسـير" فواحدة مما ذكرت تـوجب ضـلاله وانحرافه، نعـوذ بالله من عمى البصيرة.

وإن تشهيرنا بضلال محمد رشيد رضا المتسـتّر بالسـلفيّة، ليـدل على أن أهل السـنة ليس لـديهم محابـاة، وهـذا بخلاف جهلة الإخوان المسلمين الـذين يدنـدنون بقـول من قـال: نتعـاون فيما

اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضـًا فيما أختلفنا فيـه. وقوله: وليعـذر بعضنا بعضـًا فيما اختلفنا فيه، باطل، لأنّ من المختلف ما لا يجـوز أن يعذر عليه صاحبه، كما هو معلوم من الشرع.

وبخلاف أيضـًا الحـزب الشـيوعي والبعثي، فـإنّ من تظـاهر بالكفر والإلحاد والطعن في الإسلام، رفعوا شـأنه، وتحـدثت عنه وسائل الإعلام، وإن كان لا يسـاوي بعـرة، ولكن يـأبى الله إلا أن يهين أعداءه ويذلهم {ومن يهن اللّه فما له من مكرم}.

والحمد لله قد باء أعداء السنة بالفشل، وباء الملاحدة بالخزي والذل، وأصبحت السنة هي السائدة فى اليمن، والفضل في هـذا لله وحده.

وصلى اللّه على نبينا محمد وآله وصحبه.